القوس العذراء

محمود محمد شاكر

اســـم الكتـــاب: القوس العذراء
اسـم المـؤلـــف: محمود محمد شاكر
الترقيم الـــدولي:ISBN:9789776689770

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع © محفوظة لدار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع والترجمة المشهرة برقم ٢٤٨٢١ بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١. ومقرها جمهورية مصر العربية / محافظة الجيزة.
وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون موافقة قانونية مكتوبة من الناشر يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: جمهورية مصر العربية/ محافظة الجيزة/ مدينة السادس من أكتوبر/ ٣٣ التمويل العقاري.
هاتف: ٠٠٢٠٢٣٨٨٥٠٦٤٩/ موبايل ٠٠٢٠١٥٥٣٢٤٧٤٨٦
البريد الإلكتروني: tahreradbe@gmail.com

القوس العذراء

محمود محمد شاكر

إلى صَدِيقٍ لا تَبْلِى مودَّتُه:

أمّا بَعْدُ، فإني لم أكنْ أتوقَّعُ يومئذ أن ألقاكَ. وإذا كُنتَ قد أُوتيتَ حياء يغلُبك عند البغْتَة على لسانك، حتى يُعوزَك [١] ما تقول، فقد أُوتيت أنا ضَرباً ثَرثاراً من الحياء، يُطْلِق لساني أحياناً عند البَغْتَة، بما لا أُحبُّ أن أقول، وبما لا أدري كيف جاء، ولم قيل! كنت خليقا يومئذ أن أقول غير ما قلت، ولكني وجدت شيئا منك يَنْسَرِبُ [٢] في نفسي فيُثيرها، حتى يدورَ حديثي كُلُّه على إتقان الأعمالِ التي يُتَاح للمرء أن يزاولهَا . في لِمحة خاطفة من الدهر، نُسميها نحن الناسَ : العُمُر!! ياله من غُرُور! بيدَ أنّ هذا الحديثَ أَبَى إلا أن ينقلبَ عائداً معيَ في الطريق، يُسايرني، ويُصاَحِبني، ويُؤنس وَحْشتي، ويُسرُّ إليَّ بوَسْوسة خفية من أحاديثه التي لا تتشابَه، والتي لا تَتَناهى والتي هي أيضا لا تُمَلُّ. وإذا كانتْ ثرثرةُ حيائي قد صَكّت مَسامعك ببعض عُنفي وصَرَامتي، فعَسى أن يبعثَ في نفسك بعضَ الرضى، ما أرْوِيهِ لك من بقاياَ تلك الأحاديث التي رافقتني منذُ فارقتك إلى أن استقرت بي الدارُ، ثم طارت عني إلى حيثُ يطير كُلُّ فِكْرٍ، وغابتْ حيثُ يغيب!

الإنسانُ خَلقٌ عجيبٌ!! كلّ حَيٍّ، بل كُلّ شيء مخلوق، يسير على نَهْج [٣] لاَحب لا يختلّ، يُؤَيِّده هَدْيٌ صادق لا يتبدَّل. ومهما تباينتْ مسالكُهُ في حياته، وتنوَّعت أعمالُه في حِياطة مَعِيشته، فالنهجُ في كل دَربٍ من دُروبها هُوَ هُوَ لا يتغَّيروالهَدْي في كل شأن من شؤونها هو هو لا يتخلّفُ [٤].

تُولد الذَّرَّة [٥] من النِّمال، وتنمو، وتبدأ سيرتها في الحياة، وتعمل فيها عملَها الجِدَّ، وتَفرغ من حَقِّ وجُودها، ثم تقضي نَحبَها [٦] وتموت. هكذا مُذْ كانت الأرضُ وكانت النِّمال

---

(١) أعوزه الأمر يعوزه: إذا اشتد عليه وعسر، واحتاج إليه فلم يقدر عليه.

(٢) ينسرب: يجري سائلاً متتابعاً لا يكاد يحسه.

(٣) النهج: الطريق المستقيم الواضح البين. واللاحب: الطريق الواسع الأملس، لا يعوقك في مسيرك فيه شيء. والهدي: السيرة المستقيمة المؤدية إلى غاية لا تضل عنها.

(٤) لا يتخلف: لا ينقطع عنها فيتأخر، ويأتي في غير موعده ومكانه.

(٥) الذرة: النملة الصغيرة الحمراء. النمال (جمع نملة).

(٦) تقضي نحبها: تفرغ من عملها، وتبلغ مدة أجلها.

: لا تتحوّل عن نَهجٍ، ولا تَمْرقُ [٧] من هَدْيٍ. وتاريخُ أحدثِها مِيلاداً في مَعْمعة الحياة، كتاريخ أعَرقِ أسلافها هَلاكاً في حَومِة الفَنَاء. لا هي تُحدِث [٨] لنفسها نَهجاً لم يكنْ، ولا هي تبتدعُ لوارثِها هَدْيا لم يتقدَّمْ.

فسَلْ كل حيٍّ : كيف تعملُ؟ ولِمَ تعمَلُ؟ ومَنِ الذّي عَلَّمَكَ وهَدَاك؟ ومَنِ الإمامُ الذي سَنَّ لك الطريقَ [٩]؟ وبأيّ عبقريّة يأتي إبداعُك؟ ولمَ كان عملُك نَسَقاً [١٠] مُنْقادًا لا يتغير؟ وكيف كَانتْ مهَارتُك تُراثاً [١١] مُؤَبَّدًا لا يتبدل؟ وحذْقُك طَبْعاً راسخاً لا يتحوَّل؟ ولم صارتْ سُنّة [١٢] الأوائل منكم لِزَاماً على الأواخر؟ ومِنهاج [١٣] الغابرين شَرَكاً للوارثين! بل كيف أخطأ الآخرُ منكُمْ أن يَسْتدرِك عَلَى الأوَل؟ والخَلفُ أن يُنَافس صَنعْةَ السَّلَف؟ وعَجَباً إذنْ! كيف صارَ كُلّ عملٍ تَعْمَله مُتْقناً، وأنت لم تَجْهَدْ في إتقانه؟ وأنى بلغتَ فيه الغاية، وأنت مسلوبٌ كلّ تدبيرٍ ومَشِيئة؟ وما أنتَ وعملُك؟ أتحبُّه وتألفُه؟ أم تَشْنَؤُه [١٤] وتسأَمُه؟ أتُخامُرك نَشْوة الإعجابِ؟ أبدعتَ فيه؟ أم تنتَابُك لَوْعة الحُزْن إذ أصابه ما يُتْلِفُه أويؤْذيه؟ ألم تسألْ نفسكَ قطُّ : فيمَ أعمَل؟ ولمَ خُلِقت؟ وفيمَ أعيشُ؟

وأنا على يقين من أنّك لن تسمَعَ جواباً إلا الصَّمَت المُستَنكِرَ، والذُّهولَ المُعرضَ، والصمَم المُسْتَخِفَّ الذي لا يَعْبَأ.

* * *

---

(٧) تمرق: تخرقه وتخرج منه ضالة على وجهها.

(٨) تحدث: تبتدع طريقاً مخالفاً لسنة خلقها.

(٩) سن الطريق: بينه ووطأه مستقيماً إلى قصد معروف.

(١٠) نسقاً: أي نظاماً متتابعاً متواتراً على سواء السبيل. منقاداً: سلساً مفضياً إلى نهايته.

(١١) التراث: الإرث المورث، والمؤبد: الخالد منذ أبد الآبدين .

(١٢) السنة: الطريقة والسيرة اللازمة.

(١٣) المنهاج: المسلك الواضح. الغابر: الماضي. والشرك: جادة الطريق لاتخفى معالمها، لظهور آثار السائرين فيها، فالسائر كأنه يهتدي فيها ويستقيم اضطراراً.

(١٤) تشنؤه: تجده قبيحاً شنيعاً فتبغضه، تخامرك: تخالط نفسك فَتُغَطِّي على حسن تمييزك، كما تفعل الخمر بالعقول.

إلاّ الإنْسانُ!! إلاّ الإنْسان!!

ليتَ شِعْري كيف كَانَ مَدْرَجُ [١٥] أوَّله على أمِّه الأرض؟ وأيُّ هَدْيٍ كان لَفَرطه في مَطْلَعِ الفجْر؟

إنّه ككلّ حيّ، لم يُخْلَق سُدًى [١٦] ولم يُتْرك هَمَلاً. سلَك له ربُّه النَّهْجَ الأوّل [١٧] حتى يتكاثَر، وآتاهُ الهدْيَ القديمَ حتّى يَسْتَحْكِمَ، وسدَّد يَدَيْه حتى يشتدّ، وأنارَ بَصِيرتَه حتى يَسْتَكمل، وأنْبَطَ [١٨] فيه ذخائر الفطْرة حتى يَسْتبحِر، وفَجَّرَ فيه سَرائرَ الإتقان حتى يَسُودَ ويتملَّك، وعلّمه البَيانَ حتى يَسْتَفْهِمَ، وكرَّمه بالفَتْحِ حتى يَتَغلَّب.

فلّما ثَبَتَ عليها وتأيَّد [١٩]، وتأثَّل فيها وعَمَر، نَظَر إلى معروفها فاعتَبَر، وهجَم على مَجهولها فاستنكَرَ، فكأنَّهُ من يومئذٍ حادَ [٢٠] عن النهج الذي لا يخَتلّ، ومَرَق من الهَدْي الذي لا يتبدّل.

ابتُليَ من يومئذ فتَمرَّس [٢١]، وأُسلِم لمَشِيئته فتحيَّر. جارَ وعَدَل، فعَرف وجرّبَ. أخطأَ وأصاب، ففكّر وتدبر. نزع[٢٢] إلى النهج الأوّل، فأخفَق وأدرك. تاق إلى الهدي القديمِ، فأعْطِي وحُرِم. احتَفر [٢٣] ذخائر الفِطرة، فأَكْدَت عليه تارَةً ونَبَعْت. التمس شواردَ

---

(١٥) مدرج أوله: دبيب آبائه الأولين عليها. درج الصبي: دب على الأرض ومشى مشياً ضعيفاً. والفرط: السابق المتقدم.

(١٦) سدى: مهملاً غير مأمور ولا منهي ولا مسدد. الهمل: الضال المتروك بلا بيان يهديه أو يحكمه.

(١٧) النهج الأول، والهدي القديم هو الفطرة التي فطر الله عليها آدم وولده قبل اختلافهم وضلالهم، ونزول التكليف، وبعثة الأنبياء.

(١٨) أنبط: استخرج الماء من بطن الأرض. الذخائر (جمع ذخيرة) وهو ماتخيرته فأخفيته ودفنته عن العيون. يستبحر: ينشق ويتسع ويصير كالبحر لاينقطع ماؤه. السرائر (جمع سريرة):وهو ماكان مكتوماً كالسر، لايعرف حتى تعلنه. والفتح:ما انفتح بعد استغلاق.

(١٩) تَأَيَّد: صار ذا أيد وقوة وتمكن. تأثل: تقادم عهده وثبت أصله. عمر: عاش وبقي زمانا طويلاً.

(٢٠) حاد: مال عنه وعدل إلى غيره. مرق: خرقه وخرج إلى ضلال المسالك.

(٢١) تمرس: احتك بالشيء فأثر فيه. أسلم: ترك مخذولا بلا هداية.

(٢٢) نزع: حن واشتاق.

(٢٣) احتفر: بذل الجهد في الحفر. أكدى حافر البئر: إذا حفر فبلغ الصخور، فقطع الحفر خيبة ويأساً.

الإتقان، فنَدّتْ [٢٤] عليه مرَّةً واستقادتْ. وإذا كلُّ صُنْعٍ يتقاضاه حَقُّ إحسانِه، وكلّ عملٍ يَحنُّ بِه إلى قرارةِ إتْقانه. فعندئذ حاكَ الشكُّ في صدْرِ اللاحقِ، حتى قَدَح في تمام صُنْع السَّابِقِ، فَاسْتدرَك عليه. وقلِقَ الوارثُ، حتى خاف تقصيرَ الذاهب، فاستنكفَ الإذعانَ إليه. فكذلك جاشتْ نفسُه [٢٥]، حتى انْدفقت صُبابةٌ منها فيما يعمل، وتَضَرَّمَ قلبُه، حتى ترك مِيسَمه [٢٦] فيما أنشأ فَتَدَلَّهَ بصُنْع يديْه، لأنّه استودعه طائفة من نفسه، وفُتِن بما اسْتَجَاد [٢٧] منه، لأنه أفْنَى فيه ضِراماً من قلْبه. وإذا هو يَسْتَخِفُّهُ الزَّهْوُ [٢٨] بما حَازَ منه ومَلَك، ويُضنِيه الأَسَى عليه إذا ضاع أوْ هلَك.

هذا هُوَ الإنسان وعملُه. فإذا دبَّت بينَهما جَفْوة تَخْتل [٢٩] النَّفس حتى تَمَلّ وتَسْأم، أوْ عَدَتْ اليهما [٣٠] نَبْوة تُراودُ القلبَ حتى يَميل ويُعرضَ، انطمستْ عندئذٍ أعَلامُ [٣١] النهج الأوّل، وركدتْ بَوارقُ [٣٢] الهدْيِ المُتقادِم، وبقي الإنسانُ وحيداً مَلُوماً محُسوراً لا يزال يسْأل نفسَه: فيمَ أعملُ؟ ولم خُلِقت؟ وفيَم أعيش؟ فما يكون جوابُه إلاَ حَيْرةً لا تَهْدَأ، ولهيباً لا يَطفَأ، وظَلاماً لا يَنْقشع.

* * *

بل حَسْبي وحسُبك. فلقد خشيتُ أن تقول لي: إنّما أنتَ تحدّثني عن الفنّ، . فهذه صفِة أهله . لا عن العمل، فليس هذا من نَعْتِه! وكأنّي بك قد قلتَ: إنَ الفنّ تَرَفٌ مُسْتَحْدَثٌ، أما العمل فشقاء مُتَقادِم. هذا ممّا تَعجَّله الإنسانُ وعاناهُ لقَضاء حاجته، وذاك

---

(٢٤) ندت: نفرت هاربة واستصعبت. استقادت: خضعت وأعطته المقادة.

(٢٥) جاشت نفسه: فارت وارتفعت. والصبابة: بقية الماء التي تصب.

(٢٦) الميسم: اثر الوسم بالنار، تدله: ذهب عقله من الحب والهوى

(٢٧) استجاد: وجد لذة جودته وحسنه.

(٢٨) الزهو: التيه والفخر والعظمة.

(٢٩) ختله: خدعه على حين غفلة.

(٣٠) عدت إليه: أسرعت إليه على حين بغتة. والنبوة: القلق الذي يمنع الاطمئنان.

(٣١) أعلام (جمع علم): وهو المنار الذي ينصب في الطرق لهداية السارين.

(٣٢) ركد البرق: سكن وميضه. والبوارق (جمع بارقة): وهي السحابة ذات البرق.

مّما تَأنَّى فيه وصافَاه [٣٣] للاستمتاع بلذّته. والإنسان إذا جوَّدَ العمل، فمُنْتهَى هَمِّه أن يجعلَه على قضاءِ مآربِه أعْوَنَ، أو يكونَ له في أسبِاب معيشته أنَجح وأربح. أمّا الفنّ، فَثَمَرة لغَير شجرته، يَسْقيها متأنّق [٣٤] من ينابيعَ ثرَّةٍ في وُجْدانه، وينْضجُها مشغوفٌ بِلاعجٍ منْ وَجْده وافتتانِه، في غير مَخَافةٍ مَرْهوبة، ولا مَنْفعة مَجْلوبَة، فذاك إذن بطبيعته مستهلك مُمتَهن[٣٥]، وهذا لحرمة نَشْأته مَذْخورٌ [٣٦] مُكرَّم.

وأقول : بل أنت تحدّثني عن الإنْسان وقد فَسَق [٣٧] عن تِلاد فطْرته، واسَتْغَواه [٣٨] الشُّحّ حتى انْسلخ من ركاز جبلَّتَه. غَرَّهُ ما أُوتيَ من التدبير، فاقتحم على غَيْب مُدَبَّر، يَعْتسفُه بسَفاهة جُرأته. واستخفّه ما أُعين به من المَشيئة، فهجَم على خْيرٍ مبذول، يستكثِر منه بضَراوة [٣٩] نَهْمَته. فانْبَتَّ من يومئذ في فَلاة مَطْموسة بلا دَليل، يَظلُّ يكدح فيها كدْحًا حتى يُنادَى للرَّحيل!

جَاء مُيسَّراً لشيء خُلقَ له، فظلمه حقَّه حتى عَضِل [٤٠] بأمره فتعسَّر، وهُديَ مسددًا إلى غاية، فَغَفل عنها حتى تبدّد خَطوه واختلّ. ولو دانَ الإنسانُ بالطاعة لِفطْرته المكنونة فيه منذُ وُلِد، لأفْضى إلى خَبْئها [٤١] التَّليد إذا ما اسْتوىَ نَبْتُه واستحصَد.

---

(٣٣) صافاه: أخلص له الحب، وأعطاه صفو مودته وهمه.

(٣٤) المتأنق: الذي يعمل الشيء بتجويد يأتي فيه بالعجب، حباً لما يعمل وإعجاباً به. ثرة: غزيرة الماء. لاعج: محرق يستعر في القلب ويترك فيه آثاراً.

(٣٥) ممتهن: مبتذل.

(٣٦) مذخور: يتخذه المرء ذخيرة يصطفيها ويضن بها.

(٣٧) فسق: خرج منها إلى الضلال. والتلاد: القديم الموروث الذي يولد معك.

(٣٨) استغواه: طلب غوايته وضلاله. وانسلخ: نزع نفسه منه. والركاز: أصله، قطع الذهب والفضة المركوزة المدفونة في باطن الأرض. والجبلة: الطبيعة الراسخة التي يبنى عليها الخلق. يعتسفه: يركب طريقه بلا روية ولاهداية ولا أناة.

(٣٩) الضراوة: اعتياد الشيء حتى لايكاد المرء يصبر عنه. والنهمة: الشهوة التي تسوق النفس فلا تكاد تنتهي. انبت: أتعب دابته في السير حتى انقطعت بلا رجعة. والفلاة: الصحراء المنقطعة لا ماء بها ولا أنيس. مطموسة: دارسة لا أثر فيها.

(٤٠) عضل: ضاق فلم يدخل ولم يخرج.

(٤١) الخبء: المخبوء. التليد: القديم الموروث. استوى: بلغ غاية نمائه واعتدل. واستحصد: حان له أن يؤتي حصاده.

ولصارَ كلّ عمل يَعْتَمِلُه [٤٢]، تدريبا لما استْعَصى منه حتَّى يلينَ وَيْنقادَ، وتهذيباً لما تراكم فيه حتى يَرِفَّ [٤٣] ويتوهَّج. فإذا دَرِب عليه وصَبَر، أزال الثرى عن نَبْعٍ مُنْبِثق، فإذا ألحّ ولم يَملَّ، انشَقَّت فطرتُه عنَ فْيضٍ متدفّق. ويومئذ يُسْفر [٤٤] لَعينيه مَدَبُّ النَّهجِ الأوّل، بعد دُرُوسه وعِفائه، ويَسْتَشْرِي في بَصيرته وَميضُ الهَدْي المتقادِم، بعد رَكْدته وخفائِه. وإذا كلّ عملٍ يَفْصم عنْه مُتْقَنًا، وكأنّه لم يجْهد في إتْقانِه، وإذا هو مُشرفٌ فيه على الغاية، وكأنه مسلوبٌ كلّ تدبيرٍ ومَشِيئة، ولكنّه لايَفْصمُ عنه حين يفصِم، إلاّ مَطْويًا على حُشاشةٍ [٤٥] من سِرّ نَفْسه وحياته، موسوماً بلَوْعَةٍ مُتَضرمة، على صَبْوَةٍ [٤٦] فَنِيتْ في عِشرته ومُعَاناته.

فالعملُ كما تَرَى، هو في إرثِ [٤٧] طَبِيعته فنٌّ مُتمكّن، والإنسانُ بَسِليقة [٤٨] فِطْرَتِه فَنَّان مُعْرِقٌ.

* * *

وإنّي لَمُحدّثك الآنَ عن رجُلٍ من عُرض البشَر [٤٩]، يَتَعيش بكدِّ يَديْه، صابَرَ [٥٠] الفاقةَ عامَيْن، يعمَل عملاً يُفْلِتُ نَفَسًا من الغنى إليه، أغواهُ ثَراء يَبْهرهُ، فما كاد يُسْلِمه للبَيْع حتى بكَى عليه.

---

(٤٢) يعتمله: يجاهد في عمله.

(٤٣) يرف: يبرق ويتلألأ.

(٤٤) يسفر: يشرق ويبين ويتوضح، والمدب: موضع دبيب الأقدام. والدروس: ذهاب الآثار وامحاؤها. والعفاء: تراكم التراب الذي يطمس الآثار. استشرى البرق: تتابع لمعانه. الوميض: لمعان البرق في نواحي الغيم. يفصم: ينفصل عنه دون أن ينقطع السبب بينه وبين عمله.

(٤٥) الحشاشة: روح القلب، ورمق حياة النفس.

(٤٦) الصبوة: الحنين الداعي إلى الميل مع الهوى.

(٤٧) الإرث: الأصل الموروث.

(٤٨) السليقة: الطبيعة التي لاتحتاج إلى تعلم. معرق: أصيل، له عروق ممتدة إلى أصوله.

(٤٩) عرض البشر: غمارهم وكثرتهم، بلا تحديد أو تعيين.

(٥٠) صابر: تكلف معها الصبر على عنت ومشقة. نفساً: قليلا ينفس عنه.

لم أعْرِفُه، ولكن حدَثني عنه رجُلٌ مثْلُه عَمَلُه البَيان، ذاك فِطْرتُه في يَدَيه، وهذا فطْرتُه في اللِّسان.

* * *

هذا عامرٌ أخو الخُضْر : توجَّسَتْ (٥١) به الوحْشُ من عِرْفانها شدّةَ نِقْمته، جاءتْ ظامئة في بَيْضَة الصيف (٥٢)، فراعَها مَجْثَمهُ في قُتْرته. قليلُ التِّلاد، غيرَ قوسٍ أو أسْهُمٍ، خفيّ المِهَاد، غيَر مُقْلة تتضرَّم. تبيَّنتْ لَمْحَ عَيْنيه، فانقلبَت عن شريعة الماء هاربة، ذكرت نِكاية مَرْماهُ، فآثرت مِيتَةَ الظَّمأ على فَتْكة الأسْهُم الصائبة.

وما عامرٌ وقَوْسَه؟!

١ ـ فَدَعِ الشَّمَّاخَ يُنْبِئْكَ عن قَّواسِها البَائِس في حَيْثُ أَتاَهاَ:

٢ ـ أيْن كاَنتْ فيِ ضَمِير الغَيْبِ منْ غِيلٍ(٥٣) نَماَهاَ؟

٣ ـ كَيْف شقَّتْ عينُهُ الحجْبَ إليْها، فاجْتَبَاهَا (٥٤)؟

٤ ـ كَيْفَ يَنْغَلُ (٥٥) إلَيْهاَ فيِ حَشاَ عِيصٍ وقاَهَا؟

٥ ـ كَيْفَ أَنحى (٥٦) نَحْوَها مِبْرَاتَهُ، حتى اخْتَلاَهَا؟

٦ ـ كَيْفَ قَرَّتْ فيِ يديه، واطْمأنَّتْ لِفَتَاهَا؟

٧ ـ كَيْفَ يَسْتَودِعُها الشَّمْسَ عَامَيْن.. تَرَاهُ وَيَرَاهَا؟

---

(٥١) توجست: تسمعت إلى صوته الخفي على خوف.

(٥٢) بيضة الصيف شدة حره. مجثمه: جثومه في مكمنه لا يتحرك. والقترة: حفرة الصائد يكمن فيها. قليل التلاد: لا مال له موروث. والمهاد: الموضع الذي يمهده لنفسه. شريعة الماء: الموضع الذي ينحدر إلى الماء

(٥٣) الغيل: الشجر الكثير الملتف. نماها: رفعها وسواها وانتسبت إليه

(٥٤) اجتباها: اختارها واصطفاها.

(٥٥) انغل: تغلغل بين شجرها. الحشا: الجوف. العيص: الشجر النابت بعضه في أصول بعض.

(٥٦) أنحى: وجه وسدد. اختلاها: جزها وقطعها.

٨ ـ كَيْفَ ذَاقَ البُؤْس.. حتى شَرِبَتْ مآء لِحاَها [٥٧]؟

٩ ـ كَيْفَ نَاجَتْهُ.. وَنَاجَاها.. فَلاَنَتْ.. فَلوَاهَا؟

١٠ ـ كَيْفَ سَوَّاهَا.. وَسوَّاهَا.. وَسَوَّاهَا فَقَامَتْ.. فَقَضَاهَا؟

١١ ـ كَيْفَ أَعطَتْهُ منَ الّلِين، إذَا ذَاقَ [٥٨]، هَوَاهَا؟

١٢ ـ أيُّ ثَكْلَى أَعَولَتْ إذْ فَارَقَ السَّهْمُ حَشَاهَا؟

١٣ ـ كَيْفَ يُرْضِيهِ شَجَاهَا؟ كَيْفَ يُصْغِي لبُكاَهَا؟

١٤ ـ كَيْفَ ريعَ الوَحْشُ مِن هَاتِفِ سَهْم إِذْ رَمَاهَا؟

١٥ ـ كَيْفَ يَخْشَى طَارِقاً، فِي لَيْلةٍ يَهْمِي [٥٩] نَدَاهَا؟

١٦ ـ كَيْفَ رَدَّاهَا [٦٠] حَريرَ البَزِّ حِرْصاً وَكسَاهَا؟

١٧ ـ كَيْفَ هَزَّتْهُ فَتَاهَا؟ وَتَعالَى وَتَبَاهى؟

١٨ ـ كَيْفَ وَافَى مَوْسَم الَحج بِهَا؟.. مَاذَا دَهَاهَا؟

١٩ ـ أيُّ عَيْنٍ لَمَحَتْ سرَّهُمَا المُضْمَرَ؟.. بَلْ كَيْفَ رَآهَا؟

٢٠ ـ انبَرَى كَالصَّقْرِ يَنْقَضُّ إلَيهَا.. فَأَتَاهَا!!

٢١ ـ مَسَّهَا ذُو لَهْفَة تَخْفى..، وَإنْ جَازَتْ مَدَاهَا

٢٢ ـ قَالَ: سُبْحَانَ الذي سَوَّى!! وأَفْدِي مَنْ بَرَاهَا

٢٣ ـ أَنْتَ..!! بِعْنِيهَا..

---

(٥٧) اللحاء: قشر العود من الشجر.

(٥٨) ذاق القوس: جذب وترها لينظر ماشدتها.

(٥٩) يهمي: يسقط ويسيل.

(٦٠) رداها: جعله لها رداء والبز: الثياب.

. نَعَمْ إن شِئْتَ!! [تَعْسَا وَسَفَاهَا] (٦١)

٢٤ . قَالَ : بِالتِّبْرِ.. وَبالفِضَة، بالخزِّ.. وَمَا شِئْتَ سِوَاهَا

٢٥ . بِثِيَاب الخالِ (٦٢).. بِالعَصْبِ المُوَشَّى.. أَتَرَاهَا؟

٢٦ . وأَدِيمِ (٦٣) الماعزِ المَقْرُوظِ.. أَرْبَى مَنْ شَرَاهَا!

٢٧ . [كَيْفَ قَالَ الشَّيخُ؟!.. كَلاَّ! إنَّهَا بعْضِي وَالمَالُ؟. بَلِ المالُ فَدَاهَا

٢٨ . إنّها الفاقةُ والبُؤسُ!!.. نَعَمْ!.. هذا غِنًى!!.. كَلاَّ وشَاهَا (٦٤)

٢٩ . بَلْ كَفَاني فَاقَةً.. لاَ!.. كَيْفَ أَنْساهَا؟.. وَأَنَّى؟! وَهَوَاهَا]

٣٠ . لَمْ يَكَدْ.. حَتَّى رَأَى نَاسَا، وَهَمْساً، وَشِفَاهَا:

٣١ . بَايِع الشَّيْخَ! أَخَاكَ الشَّيْخَ!.. قَدْ نِلتَ رِضَاهَا!!

٣٢ . إنَّهُ رِبْحٌ..! فَلاَ يُفلتْكَ!.. أَعطَى، واشْتَرَاهَا (٦٥)!

٣٣ . وَرَأَى كَفَّيه صفْراً، وَرَأَى المَالَ... فَتَاهَا (٦٦)

٣٤ . لَمْحةً...، ثُمَّ تَجَلى الشَكُ عَنْهُ...، فَبَكَاهَا!

٣٥ . وَرَثَّاها بدُمُوع، وَيحَهُ! كَيْفَ رَثَّاهَا؟١

---

(٦١) سفاها: دعاء عليه بخسران نفسه.

(٦٢) ثياب الخال: ثياب رقيقة تصنع ببلدة الخال. العصب: برود كانت تصنع باليمن، يعصب غزلها ويجمع ثم يصبغ فيأتي موشىً لبقاء ماعصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. والموشى: المختلط الألوان.

(٦٣) الأديم: الجلد المدبوغ. المقروظ: المدبوغ بالقرظ. أربى: زاد ماله وارتفع على مايستحقه. شراها: باعها.

(٦٤) شاه الوجه: صار قبيحاً مشوهاً تكرهه النفس.

(٦٥) اشتراها: باعها.

(٦٦) تاه: من التيه، وهو العجب والفرح.

٣٦ . فَتَوَلَّى.. وَسَعِيرَ النَّارِ يُخْفِي وَلظَاهَا!

٣٧ . حَسْرَةٌ تُطْوَى عَلَى أَخْرَى..، فأَغْضْى... وَطَوَاهَا!

*** * ***

فاسمعْ إذنْ صَدَى صوتِ الشّمَّاخ:

٣٨ . تَجَاوبُ عَنْهُ كُهُوفُ القُرُونِ، تَرَدَّدَ فِيها كَأنْ لم يَزَلْ

٣٩ . وَأَوْفَى عَلَى القِمَم الشَّامخَات: جبَالٌ مِنَ الشِّعْر مِنْهَا اسْتَهلْ (٦٧)

٤٠ . تَحَدَّرُ أَنْغَامُه المُرْسَلاَتُ، أَنَغَامَ سَيْل طَغَى وَاحتَفَلْ (٦٨)

٤١ . رَأَى حُمرَ الوَحْشِ، فَابْتَزَّهَا (٦٩) بِلاَبِلَها منْ حَدِيث الوَجَلْ

٤٢ . رَآهَا ظَمَاءً إلَى مَوْرِدٍ، فَفَزَّعَها عَنْه خَوْفٌ مَثَلْ(٧٠)

٤٣ . فَطَارتْ سِراعَا إلى غَيرِهِ، بِعَدْوٍ تَضَرَّمَ حَتى اشتَعَل

٤٤ . فَلَم تَدْنُ حَتَّى رَأتْ صَائِدَينِ، فَصدَّتْ عَنِ المَوْتِ لما أَهَلّ

٤٥ . فَكَالبَرْقِ طَارَتْ إلى مَأمَن عَلَى ذِي الأَرَاكَةِ (٧١) صافِي النَّهَلْ

.. فحَلأَهَا عَنْ ذِي الأَرَاكَةِ عَامِرٌ

أَخُو الخُضْر، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّواحِزُ

قَلِيـــلُ الـــتِّلاَد، غَـــيرَ قَـــوْسٍ وَأَسْـــهُمٍ؛ كَـــأَنَّ الَّـــذي يَرْمِـــي مـــنَ الـــوَحْشِ، تَارِزُ

مُطِـــلاً بـــزُرْقٍ مِـــا يُـــدَاوَى رَمِيُّهـــا، وَصَـــفْرَاءَ مِـــن نَبْـــعٍ عَلَيْهَـــا اَلجَلاَئِـــزُ

٤٦ . فَكَيْفَ تَدَسَّسَ هَذَا البَيانُ حَتَّى رَأَى بعُيُونِ الحُمرْ؟

٤٧ . وَكَيْفَ تَغَلْغَلَ هَذَا اللسَانُ وَبَيَّنَ عَنْ رَاجِفَاتِ الحَذَرْ (٧٢)

---

(٦٧) استهل المطر: هطل واشتد انصبابه.

(٦٨) احتفل السيل: جاء بملء جنبي الوادي.

(٦٩) ابتزها: غلبها وغصبها وسلبها، والبلابل: وساوس القلب التي تضطرب فيه. الوجل: شدة الخوف.

(٧٠) مثل: انتصب قائماً.

(٧١) ذو الأراكة: موضع ماء. النهل: أول الشرب عند ورد مناهل الماء.

(٧٢) راجفات الحذر: التي ترجف بالقلب، حتى يضطرب اضطرابا شديدا.

٤٨ . لَوَاهَا [٧٣] عَنِ الرِّيِّ عِرْفَانَهَا أَخَا الخُضْرِ، عِرْفَان مَن قَدْ عَقَلْ!

٤٩ . وَعَلَّمهاَ أَيْن تُكْوى اُلْجنُوب بنَارِ الطَّبِيبِ لِدَاءِ نَزَلْ!

٥٠ . وَأَنَّ اَلخَصَاصَةَ [٧٤] قَوْسُ البَئِيسِ، إذا انْقَذفَ السَّهْمُ عَنْها قَتَلْ!

٥١ . يُسَابِقُ مُسْتَنْهِضَاتِ [٧٥] الفِرَارِ فَيَقْتُلُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَقِلْ!

٥٢ . فَيُدرِكُهَا المَوتُ مَغروسَة قَوائِمُها في الثَّرى..، لَمْ تَزُلْ!

٥٣ . وَعَرَّفَهَا أَنَّهُنَّ السِّهَامُ: زُرْقٌ تَلأْلأُ أَوْ تَشْتَعِلْ!

٥٤ . وَصَفْرَاءُ فَاقِعَة [٧٦] ، أَذْ كَرَتْ مَصَارِعَ آبآئِهِن الأول

٥٥ . سِهَامٌ تَرَى مَقْتَلَ الحَائمَاتِ [٧٧] ، وقَوسٌ تُطلُّ بِحتْفٍ أَظَلْ!

تَخَيَّرَهَـــا القَـــوَّاسُ مِـــنْ فَـــرْعِ ضَـــاَلِة لَهَـــا شَـــذَبٌ مِـــنْ دُونِهَـــا وَحَـــوَاجِزُ

نَمَـــتْ فِي مَكَـــانٍ كنهَـــا، فَاسْـــتَوتْ بِـــهِ، فَمَـــا دُونَهَـــا مِـــنْ غِيلِهَـــا مُتَلاَحِـــزُ

فَمَـــازَالَ يَنْجُـــو كُـــلَّ رَطـــبٍ وَيَابِـــس وَيَنْغَـــلُّ..، حَـــتَّى نَالَهَـــا وَهْـــوَ بَارِزُ

فـــأَنْحَى عَلَيْهِـــا ذَاتَ حَـــدّ، غُرَابُهَـــا عَـــدُوٌّ لأَوْسَـــاط العِضَـــاهِ مُشَـــارِزُ

فَلمـــا اطْمَأَنَّـــتْ فِي يَدِيْـــهِ..، رَأَى غِـــنًى أَحَـــاطَ بِـــهِ، وَأَزْوَرَّ عَمَّـــنْ يُحَـــاوِزُ

٥٦ . تَخَّيرهَا بَائِسٌ، لَمْ يزل يُمَارِسُ أَمْثَالهَا مُذْ عَقَلْ

٥٧ . تَبَيَّنَهَا وَهْيَ مَحْجُوَبةٌ، وَمِنْ دُونِها سِتْرُهَا المُنْسَدِلْ [٧٨]

---

(٧٣) لواها: صرف وجوهها عن الشرب.

(٧٤) الخصاصة: الجوع والفقر والحاجة وسوء الحال. والبئيس: الفقير البائس الشديد البؤس.

(٧٥) مستنهضات الفرار: التي تنهض به داعية الفرار.

(٧٦) فاقعة: خالصة اللون مشرقة.

(٧٧) الحائمات: التي تحوم الماء عطاشاً. الحتف: الهلاك. أظل: دنا وقرب، وألقى على الشيء ظله.

(٧٨) المنسدل: الطويل المسترخي المرسل.

٥٨ . حَمَاهَا العُيُونَ فأَخْطَأَنَهَا، إلىَ أنْ أَتَاهَا خَبِيِّر عَضِلْ (٧٩)

٥٩ . رَأَى غَادَةً نُشَّئَتْ في الظِّلاَل، ظِلالِ النعيمِ، فَصَلَّى(٨٠) وهَلّ

٦٠ . فَنَادَتْه مِنْ كِنِّهَا (٨١) فَاسْتَجَابَ: لَبَّيْكِ! [يَاقَدَّها المُعتَدلْ]

٦١ . سُتُورٌ مُهَدَّلَةٌ (٨٢) دُونَهَا، وَحُرَّاسُها كَرِمَاحِ الأَسَلْ

٦٢ . يَبيسٌ (٨٣) ورَطْبٌ وَذُو شَوكة فأَشَرطَها نَفْسَهُ.. لمْ يَبلْ

٦٣ . وَسلَّ لِسَاناً من الباتِرَاتِ،... وَانَغلَّ (٨٤) عاشِقُها ألمخْتَبَلْ!!

٦٤ . يَحُتُّ اليَبِيسَ (٨٥)، ويُرْدِي الرِّطَابَ، ويُغْمِضُ في ظُلَمات تُضِلْ

٦٥ . فَهَتَّكَ أَسْتَارَهَا بَارِزاً إلى الشَّمْسِ.. قد نَالَها! حَيَّهَلْ (٨٦)!!

٦٦ . فَأَنْحَى (٨٧) إلَيْها الِّلسَان الحَدِيدَ يَبْرُقُ..، وَهْوَ خَصِيمٌ جَدِلْ

٦٧ . عَدُوٌّ شرِيس (٨٨)، لَه سَطْوَةٌ بكُلِّ عَتِيٍ قَدِيمِ الأَجَلْ

---

(٧٩) عضل: داهية منكر شديد الغلبة.

(٨٠) صلى: دعا وعظم الله وقدسه. هل: فرح وصاح.

(٨١) الكن: المكان الذي يسترها ويحجبها عن العيون.

(٨٢) مهدلة: مرخاة متدلية. الأسل: نبات دقيق القضبان طويل شديد الاستواء.

(٨٣) يبيس: يابس. ذو شوكة: ذو شوك. أشرطها نفسه: أعد لها نفسه، إما أن ينالها أو يهلك، غير مبال.

(٨٤) انغل: تغلغل. المختبل: الذاهب العقل.

(٨٥) يحت اليبيس: يستأصل اليابس ويرميه. ويردي: يسقط الرطب. ويغمض: يوغل.

(٨٦) حيهل: كلمة تقال للحث والاستعجال.

(٨٧) أنحى: وجه ناحيتها. اللسان الحديد: هو المبراة الحادة القاطعة. خصيم: شديد الخصومة. جدل: شديد اللدد في الخصومة.

(٨٨) شريس: شديد الشراسة. عتى: طال تمرده وكبره. قديم الأجل: متقادم العمر.

٦٨ ـ فَأَثْكل أُمّا غذَتْها النَّعيمَ، ورَاحَ بِهاَ وَهْوَ بَادِي الجَذَلْ (٨٩)

٦٩ ـ فَلَمَّا أُطْمَأَنَّتْ على رَاحَتَيه، وَعَيْنَاهُ تَسْتَرِقَانِ (٩٠) القَبَلْ

٧٠ ـ رَقَاهَا، فأَحْيَى صَبَابَاتِها بتَعْوِيذَةٍ مِنْ خَفِيّ الغَزَلْ

٧١ ـ فَنَاجَتْه..، فَاهتَّز من صَبْوةٍ، وَمِن فَرَح بِالغِنَى المُقْتَبَلْ (٩١)

٧٢ ـ وَأَعْرَضَ عَنْ كُلّ ذِي خَلّةٍ (٩٢)، غِنىً بالّتي حَازَهَا... وَانْفَتَلْ...

فَمَظَّعَهَـــا عَـــامَيْنِ مَـــاءَ لحَائِهَـــا وَيَنْظُـــرُ منهَـــا : أَيَّهَـــا هُـــو غَـــامِزُ

أَقَـــامَ الثِّقَـــافُ وَالطَّرِيـــدَةُ دَرْأَهَـــا، كَمَـــا قَوَّمَـــتْ ضِـــغْنَ الشَّـــمُوسِ المَهَـــامِزُ

٧٣ ـ مَعَ الشَّمْسِ عَامَيْنِ.. حَتَّىَ تِجفَّ وَتَشْرَبَ مَاءَ لِحَاءِ (٩٣) خَضِلْ

٧٤ ـ وَفِي البُؤسِ عَامَيْنِ... يَحْيَى لَهَا، وَيُحْييه منها: الغِنَى وَالأَمَلْ

٧٥ ـ تَردَّدَ عَامَيْنِ... مِنْ كَهْفِهِ إِلَى مَهْدِهَا، عِنْدَ سَفْحِ الجَبَلْ

٧٦ ـ يُغَنِّي لَهَا، وَهُوَ بَادِي الشَّقاءِ، بَادِي البَذاذةِ (٩٤)، حَتَّى هُزِلْ

٧٧ ـ يُقلبها بِيَدَيْ مُشْفِقٍ لَهِيف (٩٥)، لطِيف، رَفِيق، وَجِلْ

٧٨ ـ يُعَرِّضَها لِلَهيبِ الهَجِيرِ، رَؤُوفاً بِهَا، عَاكِفاً لا يَمَلْ

٧٩ ـ فَلَمَّا تَمَحَّصَ (٩٦) عَنْهَا النَّعِيمُ، وَاْشْتَدَّ أُمْلُودُهَا، وَانْفَتَلْ

---

(٨٩) الجذل: الفرح الذي يهز الأعطاف.

(٩٠) تسترق: تسرق خلسة مرة بعد مرة.

(٩١) المقتبل: الذي سوف يستقبله.

(٩٢) الخلة: الصداقة التي تتخلل النفس.

(٩٣) اللحاء: قشر العود من الشجر. الخضل: الناعم الرطب الندي.

(٩٤) البذاذة: رثاثة الهيئة وسوء الحال.

(٩٥) لهيف: شديد التلهف والأسى مخافة أن تتلف وقد أشرف على صنعها.

٨٠ ـ عَصَتْهُ، وَسَاءتْهُ أَخْلاَقُهَا نُشُوزا [٩٧].. فَلَمَّا ٱلْتَوَتْ كَالمُدلْ

٨١ ـ أَعَدَّ الثِّقَافَ [٩٨] لَهَا عاشِقٌ يُؤَدِّبُها أَدَبَ المُمْتَثِلْ

٨٢ ـ وَعَضَّ عَلَيْها.. فَصَاحَتْ لَهُ، فَأَشْفَقَ إِشْفَاقَةً، وَانْجَفَلْ [٩٩]

٨٣ ـ فَجَسَّ، فَغَاظَتْهُ وَٱسْتَغْلَظَتْ، فَعَضَّ بِأُخْرَى، فَلَمْ تَمْتَثِلْ

٨٤ ـ فَأَلْقَى الثِّقَافَ...، وَأَوْصى الطَّرِيدَةَ [١٠٠] أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهَا، لاَ تَكِلْ

٨٥ ـ وَأَلْقَمَهَا قَدَّها، فَانْبَرَتْ تُخَاشِنُها بِغَلِيظٍ مَحِلْ [١٠١]

٨٦ ـ يُجَرِّدُهَا مِنْ ثِيَابِ العِنَادِ، وَمِنْ دِرْعِها الصَّعْبِ، حَتَّى تَذِلْ

٨٧ ـ فَلمَّا تَعَرَّتْ لَهُ حُرَّةً وَمَمْشُوقَةَ القدِّ رَيَّا [١٠٢]، جَفَلْ

٨٨ ـ وَسَبَّحَ لَمَّا ٱسْتَهَلَّتْ لَهُ، وَلاَنَ لَهُ ضِغْنُهَا [١٠٣]... وَابْتَهَلْ

وذَاقَ..، فَأَعْطَتْــهُ مِـــنَ الَّلـــينِ جَانبـــاً كَفَـــى وَهَـــا أَنْ يُغْـــرِقَ السَّـــهْمَ حَـــاجِزُ

إِذَا أَنْـــبَضَ الرَّامُـــونَ عَنْهَـــا، تَرَنَّمَـــتْ تَـــرَنُّمَ ثَكْلَـــى أَوْجَعَتْهَـــا اَلجَنَـــائزُ

هَتُـــوفٌ..، إِذَا ماخَـــالطَ الظَّـــيْ سَـــهْمُهَا! وَإِنْ رِيـــعَ مِنْهَـــا أَسْـــلَمَتْه النَّـــوَاقِز

٨٩ ـ أَطَاعَتْهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَوَّعَتْهُ بَالوجْدِ عَامَيْنِ حَتَّى نَحلْ

---

(٩٦) تمحص: سقط عنها فخلصت منه واشتدت. أملودها: قوامها اللدن الناعم.

(٩٧)النشوز: العصيان وترك الطاعة.

(٩٨) الثقاف: حديدة في طرفها خرق يتسع للقوس، ليقوم عوجها، الممتثل: المحتذي بالأمر الذي يؤمر به.

(٩٩) انجفل: ارتاع فارتد مسرعاً.

(١٠٠) الطريدة: قصبة مجوفة بقدر ما يلزم القوس، فيها سفن خشن، والسفن (بفتحتين) هو ما يسمى (السنفرة).

(١٠١) محل: شديد المكر والقوة.

(١٠٢) ريا: ناعمة يبرق فيها ماء الصفاء.

(١٠٣) ضغنها: عسرها والتواؤها وصعوبة انقيادها.

٩٠ . يُزَلْزِلُهُ أَمَلٌ يَسْتَفِزُّ فِي قَيْدِ بُؤْسٍ يُمِيتُ الأَمَلْ

٩١ . فَلَمَّا أَذَاقَتْهُ، إِذْ ذَاقَهَا، هَوَى أَضَمَرْتهَ لَهُ لَمْ يَزَلْ

٩٢ . تَبَّينَ إِذْ رَامَهَا، حُرَّةً حَصَاناً (١٠٤)، تَعِفُّ فَلاَ تُبْتَذَلْ

٩٣ . تَلِينُ لِأَنْبلِ عُشَّاقِهَا، وَتَأْبَى عَلَيْهِ إِذَا مَا جَهِلْ (١٠٥)

٩٤ . فَأَغْضى حَيَاءً..، وَأَفْضَى بِهَا إِلَى كَهْفِهِ خَاطِفًا، قَدْ عَجِلْ

٩٥ . فَأَهْدَى لَهَا حِلْيَةً صَاغَهَا بِكَفَّيْهِ، وَهْوَ الرَّفِيقُ العَمِلْ (١٠٦)

٩٦ . تَخَيَّرَهَا مِنْ حَشَا أَذْؤبٍ (١٠٧)، رَآهَا لَدى أَمِّها تَسْتظِلْ

٩٧ . أَعَدَّ لَهَا وَتَراً كَالشُّعاعِ حُرًّا..، عَلَى أَرْبَعٍ (١٠٨) قَدْ فُتِلْ

٩٨ . فَلَمَّا تَحَلتْ بِهِ، مَسَّهَا فَحَنَّتْ (١٠٩) حَنِينَ المَشُوقِ المُضِلْ

٩٩ . فَكَفَّلَهَا (١١٠) مِنْ بَنِي أُمِّها صَغِيراً، تَرَدى بِرِيشٍ كَمَلْ

١٠٠ . لَهُ صَلعَةٌ كَبَصِيصِ اللَّهِيبِ مِنْ جَمْرةٍ حَيَّةٍ تَشْتَعِلْ

١٠١ . فَضَمَّتْ عَلَيْه الَحشَا رَحْمَةً وَكَادَتْ تُكَلِّمُهُ.. لَوْ عَقَلْ!

١٠٢ . فَجُنَّ جُنُونُ المُحبِّ الغَيُورِ..! فَأَنْبَضَ (١١١) عَنْها أَبِيٌّ بَطَلْ!

---

(١٠٤) الحصان: الحرة الممتنعة التي تعف عن الريبة.

(١٠٥) جهل: استزله الشيطان واستخفه.

(١٠٦) العمل: الذي يحسن العمل والحركة فيما يعمل.

(١٠٧) أذؤب: (جمع ذئب).

(١٠٨) على أربع: أي على أربع طاقات. وهو أكرم للوتر وأقوى.

(١٠٩) حنت: رجعت صوتها ترجيع المشتاق أو الباكي. المضل: الذي قد ضل عنه أحبابه أو فارقوه، فهو ينشدهم.

(١١٠) كفلها: جعلها تكفله وتضمه إليها كالأم. الصغير من بني أمها: أخوها السهم.

١٠٣ . أَرَنَّتْ (١١٢) تُبَكِّي أَخَاهَا الصَّغِيرَ: وَيْحِي!! أَخِي!! وَيْلَهُ!! أَيْنَ ضَلْ

١٠٤ . فَظَلَّ يُفَجِّعُها (١١٣) : أَنْ تَرى جَنَائِزَ إِخْوَتِها... وَآ ثَكَلْ!

١٠٥ . فأَعْرَضَ ظَبْيٌ (١١٤) فَنَادَى بِهِ أَخُوهَا..، وَنَادَتْهُ: هَا! قَدْ قُتِل

١٠٦ . وَقَفَّاهُ (١١٥) ظَبْيٌ فَصَاحَتْ بِهِ..، فَخَارَتْ قَوَائِمُهُ.. ، فَاضْمَحَلْ

١٠٧ . فَآبَا.. يَسَائُلهَا: هَلْ رَضِيتِ بثُكلِ الأَحَبَّةِ؟ قَالَتْ : أَجَلْ

١٠٨ . فَبَاتَا بلَيْلِة مَعْشُوقَةٍ تُباذِلُ عَاشَقَها مَا سَأَلْ

. كأَنَّ عَلَيْهَا زَعْفَرَانَاً تَميرُهُ = خَوَازِنُ عَطَّارٍ يَمَان كَوَانِزُ

. إِذَا سَقَط الأَنْدَاءُ، صِينَتْ وأُشْعِرتْ = حَبِيرًا، وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيهَا المَعَاوِزُ

١٠٩ . يُغَازِلُهَا، وَهْيَ مُصْفَرَّةٌ، عَلَيْها بَقِيَّةُ حُزْنٍ رَحَلْ

١١٠ . تُنَاسِمُهُ (١١٦) عِطْرَها، وَالشَّذَا شَذَا زَعْفَرانٍ عَتِيقِ الأَجَلْ

١١١ . تَوَارَثْنَهُ الغِيدُ يَكْنِزْنَهُ لِزِينَتِهنَّ، خَفِيَّ المَحَلْ

١١٢ . فَسَاهَرَهَا (١١٧) يَزْدَهِيه الجَمَالُ وَيُسكِرُهُ العَرْفُ، حَتَّى ذَهَلْ

١١٣ . فَنَادَتْهُ : وَيْحَكَ! أَهَلَكْتَنِي! أَغِثْنِي... هَذَا النَّدَى قَدْ نَزَلْ

١١٤ . فَطَارَ إِلَى عَيْبَة (١١٨) ضُمِّنَتْ حَرِيرًا مُوَشًّى نَقِيَّ الخَمَلْ

---

(١١١) أنبض القوس: جذب وترها ثم أرسله: فيسمع له صوت كالبكاء.

(١١٢) أرنت: صاحت صياح النائحة الحزينة.

(١١٣) يفجعها: ينزل بها الفجيعة بعد الفجيعة.

(١١٤)أعرض الظبي: أمكن الرامي من عرضه، أي جانبه.

(١١٥) قفاه: تبعه وجاء بعده، اضمحل: سقط وانقشع.

(١١٦) تناسمه: تهدي إليه نسيمها، والشذا: الرائحة الطيبة.

(١١٧) ساهرها: بات معها ساهراً. يزدهيه: يستخف لبه العرف: الرائحة الطيبة يعرف بها صاحبها.

١١٥ ـ كَسَاهَا حَفِيّ بهَا عَاشِقٌ! إِذَا أَفْرَطَ الحُبُّ يَوْمًا قَتَلْ

١١٦ ـ فَأَلْبَسَها الدِّفْءَ ضِنًّا بِها... وَبَاتَ قَرِيرًا [١١٩].. عَلَيْه سَمَلْ!!

فَـــوَافى بِهَـــا أَهْـــلَ المَوَاسِـــم، فـــأَنْبَرَى لَهَـــا بَيِّـــع يُغْلِـــي بِهَـــا السَّـــوْم رَائِـــزُ

فَقَـــالَ لَـــهُ : هَـــلْ تَشْـــتَرِيهَا؟! فَإِنَّهَـــا تَبُـــاَعُ بِمَـــا بِيـــعَ الـــتِّلاِدُ الحَرَائِـــزُ

فَقَـــــالَ : إِزَارٌ شَـــــرْعَبِيٌّ، وَأَرْبَـــــعٌ مِـــــنَ السَّـــــيَرَاءِ، أَوْ أَوَاقٍ نَـــــوَاجِزُ

ثَمَـــانٍ مِـــنَ الكُـــورِيِّ، حُمْـــرٌ، كَأَنَّهَـــا مِـنَ الجَمْـرِ مَـا أَذْكَـى عَلَـى النَّـارِ خَـابِزُ

وَبُـــرْدَانِ مِـــن خَـــالٍ، وَتِسْـــعونَ دِرْهَمًـــا، عَلَـــى ذاكَ مَقْـــروظٌ مِـــنَ الجِلْـــدِ مَـــاعِزُ

١١٧ ـ تَمَتَّع دَهْرًا بأَيَّامِهَا وَلَيْلاَتِهَا نَاعِماً قِدْ ثَمِلْ [١٢٠]

١١٨ ـ يَرَاهَا، عَلَى بُؤْسِهِ، جَنَّة تَدَلَّتْ بِأَثْمَارِهَا، فَاسْتَظَلْ

١١٩ ـ تُصَاحِبُهُ فِي هَجِير القِفَارِ، وَفِي ظُلَم اللَّيْلِ أَنَّى نَزَلْ

١٢٠ ـ فَيَحْرُسُهَا وَهْو فِي أَمْنَةٍ [١٢١]، وَتَحْرُسُهُ فِي غَوَاشِي الوَجَلْ

١٢١ ـ يَجُوبُ الوِهادَ [١٢٢]، وَيَعْلُو النِّجادَ، وَيَأْوِي الكَهُوفَ، وَيَرْقَى القُلَلْ

١٢٢ ـ ويُفْضي إِلَى مُسْتَقَّر الحُتُوفِ: فِي دَارِ نِمْرٍ، وَذِئْبٍ، وَصِلْ [١٢٣]

١٢٣ ـ مَنَازِلَ عَادٍ، وَأَشْقى ثَمُودَ، وَحِمْيَرَ، وَالبَائِدَاتِ [١٢٤] الأُوَلْ

---

(١١٨) العيبة: وعاء من أدم تحفظ فيه الثياب. الخمل: هدب القطيفة وزئبرها.

(١١٩) قرير: قد أخذته قرة البرد، وهو أشده، والسمل: الثوب الخلق الدريس البالي.

(١٢٠) ثمل: أخذ فيه الشراب والسكر.

(١٢١) أمنة: أمان من الخوف. غواشي الوجل: ما يغشاه من المخاوف.

(١٢٢) الوهاد: الأرض المنخفضة. النجاد: الأرض المرتفعة. القلل (جمع قلة): وهو رأس الجبل.

(١٢٣) الصل: حية تقتل إذا نهشت من ساعتها، لا تنفع فيها الرقية.

(١٢٤) البائدات الأول: طسم وجديس وجرهم، وما باد من العرب العاربة.

١٢٤ . مَجَاهِلَ مَا إنْ بِهَا مِنْ أَنِيسٍ، وَلاَ رَسْم دَارٍ يُرَى أَوْ طَلَلْ

١٢٥ . يُعَلِّمُهَا كَيْفَ كَانَ الزَّمَانُ، وَمَجْدُ القَدِيم، وَكَيْف انْتَقَلْ!

١٢٦ . وَكَيْفَ تَسَاقَى بِهَا الأَوَّلُونَ رَحِيقَ الحَيَاةِ وَخَمْرَ الأَمَلْ!

١٢٧ . وَأَيْنَ الأَخِلاَّء كَانُوا بِها يَجُّرونَ ذَيْلَ الهَوَى وَالغَزَلْ!

١٢٨ . وَملْكٌ تَعَالَى، وَطَاغٍ عَتَا، وَحُر أَبَى وَحَرِيصٌ غَفَلْ!

١٢٩ . فَدَمْدَمَ (١٢٥) بَيْنَهُمُ صَارِخٌ: بَقَاء قَلِيلٌ!! وَدُنْيَا دُوَلْ!!

١٣٠ . فَعَرْشٌ يَخِرُّ، وَسَاعٍ يَقَرُّ (١٢٦)، وَسَاقٍ يَمِيلُ.. وَنَجْمٌ أَفَلْ!!

١٣١ . زَهِدْتُ إليْك وَفَارَقْتُهُمْ أَخِلاَّءَ عَهْدِ الصِّبَا وَالجَذَلْ

١٣٢ . فَنِعْمَ الصَّدِيقُ! وَنِعْمَ الخَلِيلُ وَنِعْمَ الأَنِيسُ.. وَنَعْمَ البَدَلْ!!

١٣٣ . صَدِيقٌ (١٢٧) صَدَاقَتُها حُرَّةٌ، وَخِل خِلاَلَتُهَا لاَ تُمَلّ

١٣٤ . وَغَابَا مَعًا عَنْ عُيُونِ الخُطُوبِ، وَعَنْ كَلِّ وَاشٍ وَشى أَوْ عَذَلْ

١٣٥ . وَعَنْ فِتْنَةٍ تُذْهِلُ العَاشِقَيْن، تُضِيءُ الدُّجَى لِدَبِيبِ المَلَلْ

١٣٦ . وَطَالَ الزَّمَانُ، فَحَنَّتْ بِهِ إلى الحَجِّ دَاعِيَةٌ تَسْتَهِلّ (١٢٨)

١٣٧ . آذَانٌ مِنَ اللهِ! كَيْفَ القَرَارُ؟ وَأَيْنَ الفِرَارُ؟ وَكَيْفَ المَهَلْ (١٢٩)

١٣٨ . تُرَدِّدُهُ البَيدُ بَيْنَ الفِجَاجِ، وَفَوْقَ الجِبَالِ، وَعِنْدَ السُّبُلْ

---

(١٢٥) الدمدمة: صوت مزعج يرجف على الناس ويطبق.

(١٢٦) ساع يقر: بينا هو يسعى هنا وهناك، إذ ثبت مكانه. أفل: غاب وهوى.

(١٢٧) الصديق، والخل: يقال للمذكر والمؤنث جميعا. والخلالة: الصداقة التي تتخلل النفوس.

(١٢٨) تستهل: ترفع الصوت إهلالا بالحج، وتلبية لله سبحانه.

(١٢٩) المهل: الاستنظار والتؤدة.

١٣٩ . أَصَاخَ لَهُ، وَأَصَاخَتْ لَهُ، وَلَبَّتْهُ فَامْتَثَلتْ، وَامْتَثَلْ

١٤٠ . وَطَارَا معًا كَظِمَاءِ القَطَا (١٣٠)، إِلَى مَوْرِدٍ زَاخِرٍ مُحْتَفِلْ

١٤١ . فَوَافى المَوَاسِم. فَاسْتَعْجَلتْ تُسَائلُهُ: مَنْ أَرَى؟.. أَيْن ضَلْ؟

١٤٢ . أَسَرَّ إِلَيْها: أولاَكِ الحَجِيجُ!! فَلَبَّى لِرَبٍ تَعَالَى وَجَلْ

١٤٣ . وَنَادَتْهُ جَافِلَةً (١٣١): مَا تَرَى! أَجَذْوَة نَارٍ أَرَى أَمْ مُقَلْ؟

١٤٤ . فَمَا كَادَ... حَتَّى رَأَى كَاسِرًا (١٣٢) تَقَاذَف مِن شَعَفَاتِ الجَبَلْ

١٤٥ . يُدَانِي الخُطَا، وَهْوَ نَارٌ تَؤُجُّ (١٣٣)، وَيُبْدِي أَنَاةً تَكُفُّ العَجَلْ

١٤٦ . وَمَدَّ يَدا لا تَرَاها العُيُونُ، أَخْفَى إِذَا مَا سَرَتْ مِنْ أَجَلْ

١٤٧ . وَنَظْرَةَ عَيْنٍ لَهَا رَوْعَةٌ، تُخَالُ صَلِيلَ سُيُوفٍ تُسَلْ

١٤٨ . فَلَمَّا أَهَلَّ وَأَلْقَى السَّلاَمَ، وأفتر عَنْ بَسْمِة المخْتَتِلْ (١٣٤)

١٤٩ . وَقَالَ : أَذِنْتَ؟! وَيُمنَى يَدَيْه تَمَسُّ أَنَامِلُهَا مَا سَأَلْ

١٥٠ . رَأَى بَائسا مَالهُ حُرْمةٌ تَكُفُّ أَذىً عنه.، بُؤْسٌ وذُلْ

١٥١ . وَقَالَ : فَدَيْتُكَ! مَاذَا حَمَلتَ؟ وَمَاذَا تَنَكَّبْتَ (١٣٥) يَاذَا الرِجُلْ؟!

١٥٢ . وَأَفْدِي الَّذِي قَدْ بَرَى عُودَهَا، وَقَوَّمَ مُنْآدَها (١٣٦)، وَاعْتَمَلْ!!

---

(١٣٠) ظماء القطا: القطا الوارد الماء. محتفل: فيه محافل الناس ومجامعهم

(١٣١) جافلة: مذعورة تكاد ترتد. جذوة النار: الجمرة الملتهبة.

(١٣٢) الكاسر: الذي ضم جناحين وانقض: تقاذف: هوى على عجل. شعفات الجبل: رؤوسه وقممه.

(١٣٣) تؤج: تتلهب، ويسمع لتلهبها صوت، وهو أجيج النار.

(١٣٤) المختتل: المخادع الذي يطلب غفلة الصيد.

(١٣٥) تنكب القوس: وضعها على منكبه.

(١٣٦) المنآد: المعوج. اعتمل: جاهد في عملها.

١٥٣ . فَهَزَّتْهُ مَا كِرَةٌ، (١٣٧)لم يَزَلْ يَتِيهُ بِهَا السَّمْعُ، حَتَّى غَفَلْ

١٥٤ . فَأَسْلمَهَا لِشَدِيد المِحَالِ (١٣٨)، ذَلِيقِ الّلِسَانِ، خَفِيّ الحِيَلْ

١٥٥ . فَلَمَّا تَرَامَتْ عَلَى رَاحَتَيْه، وَرَازَ (١٣٩) مَعَاطِفَهَا وَالثِّقَلْ

١٥٦ . دَعَتْ: يَاخَلِيلِيَ! مَاذَا فَعَلْتَ؟! أَأَسْلَمْتَنِي؟! لِسَوَاكَ الهَبَلْ (١٤٠)!!

١٥٧ . فَخَالَسَهَا (١٤١) نَظْرَةً خَفَّضَتْ غَوَارِبَ جَأْشٍ غَلاَ بِالوَهَلْ

١٥٨ . وَقَالَ : لَكَ الخَيْرُ! فَدَّيْتَنِي بنَفْسِكَ!!

. بَارِي قِسِيّ!

. أَجَلْ!!

١٥٩ . فَبِعْنِي إذَنْ!!

. هِيَ أغْلَى عَلَّي، إذَا رُمْتَهَا، مِنْ تِـلاَدٍ (١٤٢) جلَلْ!

١٦٠ . فَقَالَ : نَعَمْ! لَكَ عِنْدِي الرِّضى، وَفَوْقَ الرِّضَى!

. [وَيْلهُ مَنْ مُضِلْ!]

١٦١ . فَهَلْ تَشْتَرِيهَا (١٤٣) ؟!..

---

(١٣٧) ماكرة: كلمة مكر.

(١٣٨) المحال: الكيد والمكر الشديد الخفي. ذليق اللسان: فصيح اللسان طليقه.

(١٣٩) راز الشيء: وضعه في كفه ليعرف ثقله وامتحنه، ومعاطف القوس: مقدار انعطافها إذا حناها وشد وترها.

(١٤٠) الهبل: ثكل الولد.

(١٤١) خالسها: نظر إليها خلسة. خفضت: سكنت. الغوارب: أعالي الموج. الجأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع. الوهل: الفزع الملحق بالجنون.

(١٤٢) التلاد: المال الموروث الذي ولد عندك. الجلل: الجليل العظيم القدر.

(١٤٣) تشتريها: تبيعها.

. نَعَمْ أَشْتَرِي!

. لَكَ الوَيْلُ مِثْلُك يَوْمًا بَخِلْ!

١٦٢ . فَدَيْتُكَ!! أَعْطَيْتُ مَا تَشْتَهِيهِ!.. مَابِيَ فَقْرٌ ولا بِي بَخَلْ (١٤٤)!

١٦٣ . فَنَادَتْهُ، وَيْحَكَ! هَذَا الَخِبيثُ! خُذْنِي إَلَيْكَ، وَدَعْ مَا بَذَلْ

١٦٤ . فَبَاسَمَها (١٤٥) نَظْرَةً.، ثُمَّ رَدَّ إِلَى الشَّيْخِ نَظْرَةَ سُخْرٍ مُطِلْ:

١٦٥ . بِكَمْ تَشْتَرِيها؟!..

فَصَاحَتْ بِهِ : حَذَارِ! حَذَارِ! دَهَاكَ الخَبَلْ!!

١٦٦ . لَهُ رَاحَةٌ نَضَحَتْ (١٤٦) مَكْرِهَاَ عَلَي، فَدَع عَنْكَ! لاَ تُغْتَفَلْ

١٦٧ . فَقَالَ : إِزَارٌ مِنْ الشَّرْعَبِيّ (١٤٧) وَأَرْبَعُ مِنْ سِيَرَاءِ الحُلَلْ

١٦٨ . بُرُودٌ تَضِنُّ بِهِنَّ التِّجَارُ (١٤٨) إِذَا رَامَهُنَّ مَلِيكٌ أَجَلْ

١٦٩ . وَمِنْ أَرْضِ قَيْصَرَ : حُمْرٌ ثَمَانٍ جَلاَهَا (١٤٩) الهِرَقْلِيُّ، مِثْلُ الشُّعَلْ

١٧٠ . ثَمَان تُضيءُ عَليكَ الدُّجَى! إذا عَمِيَ النَّجْمُ، نعمَ البَدِلْ

١٧١ . وَبُرْدَانِ من نَسْجِ خَالٍ (١٥٠)، أَشَف وَأَنْعَمُ مِنْ خَدِّ عَذْرَاءَ..، بَلْ

١٧٢ . إِذَا بُسِطَاَ تْحَتَ شَمْسِ النَهارِ، فَالشَّمْسُ تَحْتَهُمَا..، لَيْسَ ظِلْ

---

(١٤٤) البخل (بفتحتين)، هو البخل.

(١٤٥) باسمها: نظر إليها نظرة سخر مبتسم.

(١٤٦) نضحت: فضت مكرها كالعرق، دع عنك: احذر، تغتفل: تؤخذ من غفلتك.

(١٤٧) الشرعبي: ثياب جياد سابغة. السيراء: برد فيه سيور يخالطها الحرير.

(١٤٨) التجار (جمع تاجر).

(١٤٩) جلاها: صقلها. الهرقلي: الرومي، نسبة إلى هرقل الملك.

(١٥٠) خال: مكان تضع فيه البرود الجيدة.

١٧٣ . وَتِسْعُون مِثْلُ عُيُونِ الجَرَادِ..، بَرَّاقَةٌ كَغَدِيرِ (١٥١) الوَشَلْ

١٧٤ . كَمِرْآةِ حَسْنَاءَ مَفْتُونِة، كَرَأْسِ سِنَانٍ حَدِيثٍ صُقِلْ

١٧٥ . أَجَلْ..!! وَأَدِيمٌ (١٥٢) كَمِثْلِ الحَرِيرِ، يُطْوَى وَيُرْسَلُ مِثْلَ الخَصَلْ

١٧٦ . وَحَوْلَهُمَا زَفَرَاتُ الزِّحَامِ، وَأَذْنٌ تَمِيلُ، وَرَأْسٌ يُطِلْ

١٧٧ . وَغَمْغَمَةٌ (١٥٣)، وَحَدِيثٌ خَفِيٌّ وَنَغْيَةُ زَارٍ، وآتٍ سَأَلْ

١٧٨ . وَعَاشِقةٌ فِي إِسَارِ (١٥٤) السوَامِ!! وَعَاشقُها فِي الشَرَاكِ أُحْتُبِلْ

١٧٩ . تُنَادِيه مَلْهُوفَة تَسْتَغِيثُ، ضَائَعَةُ الصَّوْتِ..، عَنْهَا شُغِلْ

فَظَـــلَّ يُنَـــاجِي نَفْسَـــهُ وَأَمِيرِهَـــا أيَأْتِي الَّـــذِي يُعْطَـــى بِهَـــا أَمْ يُجَـــاوزُ

فَقَـــالوا لَـــهُ : بَايِـــعْ أَخَـــاكَ.. وَلا يَكُـــنْ لَـــكَ اليَـــوْمَ عَـــنْ رِبْـــحٍ مِـــنَ البَيْـــعِ لاَهِـــزُ

١٨٠ . [أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبّ السَمَاء وَالأَرْض!.. مَاذَا يَقُولُ الرَّجُلْ؟!

١٨١ . أَجُنَّ؟! نَعَمْ.. لاَ!.. أَرَى سُورةً (١٥٥) مِنْ العَقْل، لاَخَلجَاتِ الخَبَلْ!

١٨٢ . وَعَيْنَيْ صَفَاءِ كَمَاء القلاَتَ (١٥٦)، وَعِرْنِينَ أَنْفٍ سَمَا وَاعتَدَلْ

١٨٣ . وَجَبْهَةَ زَاك (١٥٧)، نَمَاهُ النَّعِيمُ فِي سُؤْدُدٍ وَسَرَاءٍ نَبُلْ

---

(١٥١) الغدير: مكان يغادر السيل فيه بعض الماء. والوشل: الماء يتحلب من جبل أو صخرة، يقطر قليلا قليلا، لا يتصل قطره.

(١٥٢) الأديم: الجلد المدبوغ اللين. الخصل (جمع خصلة): وهي لفيفة من الشعر المجتمع.

(١٥٣) غمغمة: الكلام الذي لا يتبينه السامع، والنغية: كلمة ذات نغمة. الزاري: العائب المظهر للاحتقار.

(١٥٤) الإسار: الأسر. والسوام: المساومة في البيع. والشراك (جمع شرك): وهو حبالة الصائد يرتبك فيها الصيد. احتبل: وقع في حبالة الصائد.

(١٥٥) السورة المنزلة الرفيعة المشرفة الظاهرة. خلجات الخبل: مايتجاذب المخبول من الاضطراب، فتتفكك أوصاله، ويتمايل يمنة ويسرة.

(١٥٦) القلات (جمع قلت، بسكون اللام): نقرة في الجبل يقطر فيها ماء واشل من سقف أو كهف، وهو أصفى ماء. والعرنين: الأنف تحت مجتمع الحاجبين، حيث يكون الشمم، وهو دليل على كرم الأصل.

١٨٤ . أَيُعْطِي بِهَا المَالَ؟! هَذَا الخَبَالُ! قَوْس وَمَالٌ كَهَذَا؟ ثُكِلْ!!

١٨٥ . وَيَارَبِّ! يَارَبِّ! مَاذْا أَقَولُ؟.. أَقَولُ نَعَمْ!.لا فَهَذَا خَطَلْ

١٨٦ . أَبِيعُ!! وَكَيْفَ!.. لَقَدْ كَادَنِي (١٥٨) بِعَقْلِي هَذَا الخَبيثُ الَمِحْل

١٨٧ . أُفَارِقُها! وَيْكَ (١٥٩)!! هَذَا السَّفَاهُ! قَوْسِيَ! كَلاَ! خَذَيني وَخِلْ!!

١٨٨ . أَجَلْ!! بَلْ هُوَ البؤْسُ بَادٍ عَليَّ! فأَغْراهُ بي! وَيْحَهُ! مَا أَضَلْ!!

١٨٩ . يُسَاوِمُنِي المَالَ عَنهَا؟! نَعَمْ!.. إذَا لَبِسَ البُؤْسُ حُرًّا أَذَلْ

١٩٠ . إذَا مَا مَشَى تَزْدَرِيه العُيُونُ، وَإنْ قَالَ رُدّ كَأَنْ لَمْ يَقُلْ

١٩١ . نَعَمْ! إنَّهُ البُؤْسُ!! أَيْنَ المَفَرُّ مِنْ بَشَرٍ كَذِئَاب الجَبَلْ؟!

١٩٢ . ثَعَالبُ نُكْرٍ (١٦٠) تُجِيدُ النِّفَاقَ حَيْثُ تَرَى فُرْصةً تُهْتَبَلْ

١٩٣ . كلاَبٌ مُعَوَّدَةٌ لِلهَوَانِ تُبَصْبِصُ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ بَذَلْ

١٩٤ . فَوَيْحِي مِنَ البُؤْسِ!.. وَيْلٌ لَهُمْ!!. أَرى المَالَ نُبْلاً يُعَلي السِّفَلْ (١٦١)

١٩٥ . فَخُذْ مَا أَتَيتَ بِهِ..!! إنَّه مَلِيك يُخَافُ، وَرَبٌّ يُجَلْ

١٩٦ . وَسُبْحَانَ رَبِّي! يَدِي! مَا يَدِي؟! بَرِيْتُ القِسِيَّ بها لم أَمَلْ!

١٩٧ . حَبَاني (١٦٢) به فاطِرُ النَيرّات وَبَاري النَّباتِ وَمُرْسِي الجَبَلْ!

---

(١٥٧) الزاكي: النابت في نعمة وخصب وكرم، والسراء: المروءة والسخاء والشرف.

(١٥٨) كاده بعقله: احتال عليه وغلب عقله. المحل: الشديد المكر والدهاء.

(١٥٩) ويك: مثل، ويلك، تعجب وتهديد، السفاه: السفه والطيش. الخدين: الصديق المصاحب. والخل: الصديق المتداخل المودة.

(١٦٠) النكر: الدهاء المنكر الخبيث: اهتبل الفرصة: اغتنمها وافترصها على غفلة.

(١٦١) السفل (جمع سفلة): وهُم أراذل الناس وسقاطهم.

(١٦٢) حباه: أعطاه فأكرمه. فاطر النيرات: المبتدئ خلق الكواكب المنيرة. وباري النبات: خالقه.

١٩٨ . وَأَوْدَعَهَا سِرَّهَا عَالِمٍ خَبِيرٌ بَمكْنُونِها لَمْ يَزَلْ!

٩١٩ . وَفِي المَالِ عَوْنٌ عَلى مِثْلِها! وَفِي البُؤْسِ هُونٌ (١٦٣)، وَذُلٌّ، وَقُلّْ!]

٢٠٠ . تَنَادَوْا بِهِ : أَنْتَ؟! مَاذَا دَهَاكَ؟! مَالكَ يَا شَيْخُ؟! قُلْ يَا رَجُلْ!

٢٠١ . وَآتٍ يُصِيحُ، وَكَفٌّ تُشِيرُ، وَصَوْتٌ أَجَشُّ (١٦٤)، وَصَوْتٌ يَصِلّْ!

٢٠٢ . وَطَنَّتْ مَسَامِعُهُ طَنَّةً..، وَزَاغَتْ نَوَاظِرُهُ وَاخْتُبِلْ

٢٠٣ . .. وَأَفْضَى إِلَيْهِ كَهَمْسِ المَرِيضِ أَشْفَى (١٦٥) عَلَى المَوْتِ مَا يَسْتَقِلّْ..

٢٠٤ . تُنَادِيه: وَيْحَكَ! وَيحِي!! هَلَكْتُ!! أَتَوْكَ بَقَاصِمَةٍ! وَآثَكَلْ!

٢٠٥ . تَلَفتَ يَصْغِي..، وَمِثْلُ اللَّهيبِ ضَوْضَاءُ وَعْوَعَةٍ (١٦٦) فِي زَجَلْ

٢٠٦ . فَهَذَا يُؤُجُّ (١٦٧)..، وَهذَا يَعَجُّ..، وَهَذَا يَخُورُ..، وَهَذَا صَهَلْ!

٢٠٧ . وَدَان يُسِرُّ..، وَدَاعٍ يَحُثُّ..، وَكَفٌّ تُرَبِّتُ: بِعْ يَا رَجُلْ!

٢٠٨ . لَقَدْ بَاعَ! بْع! بَاعَ! لاَ لَمْ يَبِعْ! غِنَى المالِ! وَيْحَكَ! بعْ يَا رَجْل!

٢٠٩ . [وَحَشْرجَةُ (١٦٨) الموْتِ: خُذْنِي.. إِليكَ!!

. لَبَّيْكِ!! لَبَّيْكِ!]

بِعْ يَا رَجُلْ!!

---

(١٦٣) الهون: الهوان والخزي. والقل: القلة والنقص.

(١٦٤) أجش: فيه جشة أي: غلظ وبحة. صل الصوت: إذا خالطته حدة كأنها صوت حديد على الصفا. اختبل: أخذه الخبل، كالمجنون المضطرب.

(١٦٥) أشفى: أشرف. يستقل: ينهض.

(١٦٦) وعوعة: صوت مختلط كوعوعة الكلاب، والزجل: الجلبة كأصوات اللاعبين.

(١٦٧) يؤج:يصوت بكلام مرتفع سريع. ويعج: يصيح صياحاً عالياً كالهدير. ويخور: يصيح بصوت غليظ كخوار الثور. وصهل: أخرج صوتاً مبحوحاً كصهيل الخيل.

(١٦٨) الحشرجة: غرغرة الميت، وتردد نفسه.

٢١٠ . [أَغِثْنِي!. أَجَلْ!]

بَاعَ! مَاذَا؟! أَبَـاعَ؟! نَعْم بَاعَ قَدْ بَـاعَ! حَقّاً فَعَلْ؟!

٢١١ . [أَغِثْنِي! أَغِثْنِي! نَعَمْ!]

قَدْ رَبِحْتَ!!.. بِـوُرِكَ مَـالُكَ!

أَيْنَ الرَّجـلْ؟!

١١٢ . مَضَى!.. أَيْنَ!.. لاَ، لَسْتُ أَدْرِي!.. مَتَى؟

لَقَدْ بِعْتَ ؟!.. كَـلاّ وَكَـلاّ.. أَجَلْ!

٢١٣ . لَقَدْ بِعْتَ! قَدْ بِعْتَ!

. كَـلاّ! كَذَبْتَ!

لَقَدْ بِعْتَ! قَدْ بَـاعَ!

. وَيْحِي! أَجَـلْ

٢١٤ . لَقَدْ بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا.. جُزِيتُمْ بَخْيرِ جَزَاء، أَجَلْ!!..

٢١٥ . أَجَلْ بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا. بِعْتُهَا!! أَجَلْ بِعْتُهَا!! لاَ، أَجَلْ لاَ، أَجَلْ

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتِ العَيْنُ عَبْرَةً،

وَفِي الصَّدرِ حَزَّازٌ مِنَ الوَجْدِ حَامِزُ

٢١٦ . [أَجَلْ.. لاَ أَجَلْ بِعْتُهَا! بِعْتُهَا!. أَجَلْ بعتها! بِعْتُهَا!.. لاَ أَجَلْ

٢١٧ . وفَاضَتِ دُمُوعٌ كَمِثْلِ الحَمِيم (١٦٩)، لَذَّاعَةٌ، نَارُها تَسْتَهِلْ

١١٨ . بُكَاء مِنَ الجَمْرِ جَمْرِ القُلُوبِ، أَرْسَلهَا لاَعِجٌ (١٧٠) مِنْ خَبَلْ

---

(١٦٩) الحميم: الماء الحار. تستهل: تنصب.

(١٧٠) لاعج: محرق. الخبل: اضطراب الجنون.

٢١٩ . وَغَامَتْ بِعَيْنَيْهَ، وَٱسْتَنْزَفَتْ دَمَ القَلْبِ يَهْطِلُ فِيما هَطَل

٢٢٠ . وَخَانِقَةٌ ذَبَحَتْ صَوْتَهُ، وَهيضَ (١٧١) اللِّسَانُ لَهَا وَاعْتقِلْ

٢٢١ . وَأَغْضَى عَلى ذِلَّة مُطْرِقًا، عَلْيه مِنْ الهَمّ مِثْلُ الجَبلْ

٢٢٢ . أَقَامَ..، وَمَا إِنْ بِهِ مِنْ حَرَاكٍ، تَخَاذلُ (١٧٢) أَعَضَاؤُهُ كَالأَشَلْ

٢٢٣ . وَفِي أُذُنَيهِ ضَجِيجُ الزِّحَامِ، وَ«بِعْ بَاعَ، بِعْ بَاعَ، بِعْ يَا رَجُلْ»!

٢٢٤ . وَأَخْلَدَ فِي حَيْثُ طَارَ السوَامُ (١٧٣) بِمُهْجَتِهِ، كَأَرُومٍ مَثَلْ

٢٢٥ . كَأَنْ صَخْرَةٌ نَبَتَتْ، حَيْثُ قَامَ، تِمثَال حُزْنٍ صَلُودٍ (١٧٤) عُتُلْ

٢٢٦ . وَمِنْ حَوْلِهِ النَّاسُ مِثْلُ الدَّبَى (١٧٥) عِجَالاً تَنَزى، دَهَاهُنَّ طلْ

٢٢٧ . فَمِنْ قَائِلٍ : فَازَ! رَدَّت عَلَيْهِ قَائِلَةٌ : لَيْتَهُ مَا فَعَلْ!

٢٢٨ . وَمِنْ هَامِسٍ: وَيْحَهُ مَادَهَاهُ! وَمِنْ مُنْكِرٍ: كَيْفَ يَبْكِي الرَّجُلْ!

٢٢٩ . وَمِنْ ضَاحِكٍ كَرْكَرَتْ (١٧٦) ضَحْكَةٌ لَهُ مِنْ مَزُوحٍ خَبِيثٍ هَزَلْ

٢٣٠ . ومِنْ سَاخِرٍ قَالَ : يَا آ كِلاً! تَلَّبسَ فِي سَمْتِ (١٧٧) مِنْ قَدْ أُكِلْ!

٢٣١ . وَمِنْ بَاسِطٍ كَفَهُ كَالمُعَزّي وَهَيْنَمَةٍ (١٧٨) غَمْغَمَتَ لَمْ تُقَلْ

---

(١٧١) هيص: انكسر وتدلى. واعتقل: حبس ومنع الكلام.

(١٧٢) تخاذل: تتخاذل، يخذل بعضها بعضاً.

(١٧٣) السوام: المساومة في البيع، والأروم: أصل الشجرة إذا ماتت وسقطت أغصانها. مثل: انتصب.

(١٧٤) صلود: صلب أملس. عتل: غليظ ثقيل ثابت.

(١٧٥) الدبى: الجراد قبل أن يطير، تنزى: تثب وتنقز. دهاه: غشيه وأصابه، والطل: المطر الخفيف.

(١٧٦) كركر الضاحك: ردد الضحك.

(١٧٧) السمت: الهيئة.

(١٧٨) هينمة: الكلام الخفي كالدندنة. غمغمت: اختلطت ولم تتبين.

٢٣٢ . وَمِنْ مَشْفِقٍ سَاقَ إِشْفَاقَهُ وَوَلَّى، وَمُلْتَفِتٍ لَمْ يُوَلّ

٢٣٣ . وَسَالَت جُمُوعُهُمُ فِي الرِّمَالِ.. وَمَاتَ الوَغَى (١٧٩).. غَيْرَ حِسّ يَصِلْ

٢٣٤ . وَأَسْفَرَ (١٨٠) وَانْجَابَ دَاجِي السَّوَادِ عَنْ مُخْبِتٍ خَاشِعٍ كَالمُصَلّْ

٢٣٥ . وَظَلَّ طَوِيلاً.. لَهُ سَبْتَةٌ (١٨١) وَإِطْرَاقَةٌ، وَأَسىً يَنْهَمِلْ

٢٣٦ . أَفَاقَ وَقِيذاً (١٨٢)، بَطِيءَ الإِفَاقَةِ.. يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ كَالمُطِلّْ

٢٣٧ . وَقَلّبَ عَيْنِيهِ: مَاذَا يَرى؟ وَأَيْنَ الزِّحَامُ؟ وَأَيْنَ الرَّجُلْ!

٢٣٨ . رَأَى الأَرْضَ تَمْشِي بِهِم كَالخَيَال، أَشَبْاحُهُمْ خُشُبٌ تَنْتَقِلْ

٢٣٩ . وَهَامٌ (١٨٣) مُحَلَّقَةٌ رُجَّفٌ، وأُخْرى بَدَتْ كَنَزِيعِ البَصَلْ

٢٤٠ . وَأَغْربةٌ (١٨٤): بَعْضُها جَاثِم يُحَرِّك رَأْسًا، وَبَعْضٌ حَجَلْ

٢٤١ . وَحَيَّاتُ وَادٍ، لِشَمْسِ الضُّحَى تُلوّي حَيَازِيمَها (١٨٥) والقُلَلْ

٢٤٢ . وَأَزْفَلَةٌ (١٨٦) مِنْ ضِبَاع الفَلاَة تَخْمَعُ مِنْ حَوْلِ قتْلَى هَمَلْ

---

(١٧٩) الوغى: الصوت المتداخل كأصوات النحل المجتمع. يصل: يكون له صوت كأصوات أجواف الخيل إذا عطشت.

(١٨٠) أسفر: أشرق. انجاب: انكشف. المخبت: الخاشع المتضائل.

(١٨١) سبتة: سكون وإطراق بلا حراك.

(١٨٢) الوقيذ: المريض الدنف المشفي على الهلاك.

(١٨٣) هام محلقة: رؤوس محلوقة. رجف (جمع راجف): ترتجف وتضطرب. نزيع البصل: المنزوع بجذوره.

(١٨٤) أغربة (جمع غراب).

(١٨٥) الحيازيم (جمع حيزوم): وهو ما اكتنف الحلقوم والقلل: الرؤوس، والحية تفعل ذلك وهي تتشمس.

(١٨٦) أزفلة: الجماعة تأتي مسرعة. والضباع: من لئام الحيوان. تخمع: تعرج. همل: مهملة ملقاة.

٢٤٣ . وَهَنًّا وَهَنًّا ضِبَابٌ [١٨٧] مَرَقْن مِنْ كُلّ جُحْر لسَيْل حَفَلْ

٢٤٤ . وَثَوْبٌ يَطِيرُ بِلاَ لاَبِسٍ، يَمِيلُ مَعَ الرّيحِ أَنَّى تَمِلْ

٢٤٥ . تَمَطّى بِهِ البعْثُ مِنْ نَعْسَةٍ، ومِنْ سِنة كَفُتُورِ الكَسَلْ

٢٤٦ . وَدَبَّتْ إِليْه بَقَايَا الحَياةِ، فَرَفَّعَ أَعْطَافَهُ [١٨٨] وَاعْتَدَلْ

٢٤٧ . وَظَلَّ يُنَازِعُ كَبْلَ [١٨٩] الذُّهُول وَيَحْتَلِجُ النَّفْسَ مِنْ أَسْرِ غُلْ

٢٤٨ . كَنَاشِطِ [١٩٠] ثِقْلٍ طَوِيلِ الرّشَاءِ مِنْ هُوّة في حَضِيض الجَبَلْ

٢٤٩ . رُوَيْدَا رُوَيْدَا فَثابَتْ لَهُ مُلَجْلَجَةً [١٩١] يَعْتَرِيهَا هَلَلْ

٢٥٠ . وَمِثْلَ الحَمَامَة بَيْنَ الضّلُوعِ قَدْ انْتَفَضَتْ مِنْ غَواشِي بَلَلْ

٢٥١ . يُقَلّبُ جمْجُمَةً، خَالهَا كَجُلمُودِ صَخْرٍ رَكينٍ [١٩٢] حَمَلْ

٢٥٢ . فَلأياً بِلأَيٍ [١٩٣] وَآبَتْ لَهُ مُبَعْثَرَة مِنْ أَقَاصِي العِلَلْ

٢٥٣ . وَنَفَّسَ عَنْ صَدْرِهِ زَفْرَةً، وَخَامَرَهُ [١٩٤] البُرْءُ حَتَّى أَبَلْ

٢٥٤ . أَحَسَّ بكَالجَمْر فِي رَاحَتَيْه: سَعِير تَوَقّد!! مَاذَا احْتَمَل؟

٢٥٥ . وَيَبْسُطُ كَفَيهِ: مَاذَا أَرى جَوَابٌ حَثِيثٌ وَلوْ لَمْ يَسَلْ!!

---

(١٨٧) الضباب تخرج من جحورها إذا دهمها السيل.

(١٨٨) الأعطاف (جمع عطف): وهو الجانب، من الرأس إلى الورك.

(١٨٩)الكبل: القيد الضخم الثقيل. والغل: القيد الذي يجمع الأيدي إلى الأعناق.

(١٩٠) الناشط: الجاذب الدلو من البئر. والرشاء: حبل الدلو الطويل.

(١٩١) ملجلجة: مترددة ثقيلة لاتكاد تخرج أو تدخل: هلل: فزع وفرق ونكوص.

(١٩٢) ركين: عالي الأركان ثقيل.

(١٩٣) لأيا بلأي: بعد مشقة وجهد وإبطاء واحتباس.

(١٩٤) خامره: غشي نفسه. أبل: برأ من مرضه وأفاق.

٢٥٦ . عُيُونٌ تُحَمْلِقُ فِي وَجْهِه، مِنْ الخُبْثِ تَزْهَرُ (١٩٥) أَوْ تأتَكِلْ!!

٢٥٧ . [أَجَلْ بِعْتُهَا! بِعْتُهَا بِعْتُهَا!.. بَقَاءٌ قَلِيلٌ وَدُنْيَا دُوَلْ!]

٢٥٨ . وَأَلْقَى الغَنيِ لِلثَّرى! وَانْتَحَى (١٩٦) وَنفَّض كَفَيْهِ: [حَسْبي! أَجَلْ]

٢٥٩ . وَأَلْقَى إِلَى غَالِيَاتَ الثِّيَابِ وَالبَزِّ نَظْرَةَ لاَ مُحْتَفِلْ!

٢٦٠ . وَوَلى كَئيبًا ذَلِيلَ الخُطَا، بَعيدَ الأَنَاةِ، خَفِّي الغُلَلْ (١٩٧)!

٢٦١ . وَأَوْغل فِي مُضْمرَاتِ (١٩٨) الغُيُوبِ يَطْوِي البَلاَبِلَ طَيَّ السِّجِلْ

٢٦٢ . أَرَادَ لِيَنْسَى وَبَيْنَ الضُّلوُعِ نَوَافِذ مِنْ ذِكَرٍ تَنْتَضِلْ

٦٦٣ . فَأَحْيَتْ صَبَابتَهُ، وَالجِرَاحُ دِمَاءٌ مُفَزَّعَةٌ لَمْ تَسِلْ

٢٦٤ . تُرِيهِ الرُّؤَى وَهْوَ حَيُّ النَّهارِ، وَتسْري بِهِ وَهْوَ لَمْ يَنْتَقِلْ

٢٦٦ . وَيَبْسُطُ كَفَّيه مُسْتَغْرِقًا، فَتَحْسَبُهُ قَارِئًا قَدْ ذَهِلْ

٢٦٧ . يَرَى نِعْمَة لَبِسَتْ نِقْمةً، وَنُورًا تَدَجَّى (١٩٩)، وَسِحْرا بَطَلْ

٢٦٨ . وَآيَتَهُ (٢٠٠) عَاثَ فِيهَا الشُّحُوبُ فَأَنْكَرَ مِنْ لَوْنِها مَا نَصَلْ

٢٦٩ . وَأَسرارَهَا (٢٠١) فَضَّهَا طَائف لَهُ سَطْوَة وأَذى حَيْثُ حَلْ

---

(١٩٥) تزهر: تتلألأ. تأتكل: تتوهج كالنار إذا اشتد لهبها، وأكل بعضها بعضا.

(١٩٦) انتحى: اعتزل ناحية.

(١٩٧) الغلل (جمع غلة): وهي حرارة الحزن.

(١٩٨) المضمرات: البعيدة التي يخفى مكانها، والغيوب (جمع غيب): هو الأرض المطمئنة، التي يغيب فيها سالكها، والبلابل: قلقات الهموم. والسجل: الكتاب أوالصك الذي يطوى. نوافذ: ماضيات، كالسهام تنفذ في النفس . تقتضل: تترامى وتختصم.

(١٩٩) تدجى: لبسه الظلام.

(٢٠٠) الآية: العلامة العجيبة، وهي يده. نصل: طفىء لونها وذهب.

(٢٠١) أسرار الكف: خطوطها التي تدل على المغيب من أسرارها.

٢٧٠ . وَسَحْقَ [٢٠٢] غِشَاءِ عَلَى أَعْظُمُهُ، تَهَّتَك مثْلَ الأَدِيم النَّغِلْ

٢٧١ . وَمَستْ أَنامِلَهُ رَجْفَةٌ، تَسَاقَطَ عَنَها سَنَاهَا [٢٠٣] وَزَل

٢٧٢ . وَأَفْضَى بَنظْرَتِهِ نَافِذًا إلى غَيْبِ مَاضٍ بَهَيمِ [٢٠٤] السُبُل

٢٧٣ . تَلاَوَذُ [٢٠٥] أَشباحُهُ، كَالذَّلِيلِ، بِلُغْزِ نَخِيلٍ، وَدَاجِي دَغَلْ

٢٧٤ . وَأَسْوِدَةً خَطِفَتْ فِي الظلاَم هَارِبة مِنْ صَيُودٍ خَتَلْ

٢٧٥ . وَطْيرًا مُرَوَّعَةً أَجْفَلَت، وَآمِنَ طَيْرٍ وَدِيعٍ هَدَلْ [٢٠٦]

٢٧٦ . وَشقَّت لَهُ السُّدَفَ [٢٠٧] الغَاشِيَاتِ حَسْنَاء ضالٍ عَلَيهْا الحُلَلْ

٢٧٧ . أَضَاءَ الظَلاَمُ لَهَا بَغْتَةً، وَقَوَّضَ خَيْمتَهُ وَارْتَحَل

٢٧٨ . أَطَلَّتْ لَهُ مِنْ خِلاَل الغُصُونِ عَذْرَاء مَكْنُونَة لَمْ تُنَلْ

٢٧٩ . «رَأى غَادَةً نُشِّئَتْ فِي الظِّلاَلِ، ظِلاَل النَّعِيم»، عَلَيْهَا الكلل [٢٠٨]

٢٨٠ . عَروسٌ تَمَايَلُ مُخْتَالَةً، تُمِيتُ بدَلّ، وَتُحْيِي بِدَلَ

---

(٢٠٢) السحق: البالي المنسحق. تهتك: تخرق وتساقط. الأديم: الجلد المدبوغ. النغل: الذي فسد دباغه فتفتت وترفت.

(٢٠٣) السنا: الضوء العالي.

(٢٠٤) بهيم: مظلم لا ضوء فيه، ولا منفذ لبصر.

(٢٠٥) تلاوذ: تدور كأنها تطلب ماتلوذ به. اللغز: الطريق الملتوي المشكل يضل سالكه. الداجي: الساتر الذي يلبس ما فيه ويستره. والدغل: الشجر الملتف المشتبك النبت. أسودة (جمع سواد): وهو شخص الشيء، لأنه يرى من بعيد أسود. خطفت: تسرع كالشعاع الخاطف.

(٢٠٦) هدل: غنى غناء الحمام.

(٢٠٧) السدف: (جمع سدفة): ظلمة مختلطة بضوء يشوبها. الضال: السدر ينبت في السهول. تسوى من قضبانه السهام.

(٢٠٨) الكلل (جمع كلة): وهي الستر الرقيق، كالذي تكون فيه العروس.

٢٨١ . وَنَادَتْه، فَارَتَدَّ مُسْتَوفِزًا [٢٠٩] بَجُرْحٍ تَلَظى وَلمْ يَنْدمِلْ:

٢٨٢ . أَفِق! قَدْ أَفَاقَ بِها العَاشِقُون قَبْلَكَ، بَعْدَ أَسىً قَدْ قَتَلْ!

٢٨٣ . أَفِقْ! يَا خَلِيلِي! أَفِق! لاَ تَكُنْ حَلِيف الهُمُومِ، صَرِيع العِلَلْ

٢٨٤ . فَهَذَا الزَّمَانُ، وَهَذِي الحيَاةُ، عَلّمْتِنيها قَدِيمًا: دُوَلْ!!

٢٨٥ . أَفِقْ! لاَ فَقَدْتُكَ! مَاذَا دَهَاكَ؟! تَمَتَّعْ! تَمَتَّع! بِهَا! لاَ تَبلْ!

٢٨٦ . بِصُنْع يديْك تَرَاني لَدَيْكَ، فِي قَد أُخْتِي! وَنِعْمَ البَدَلْ!

٢٨٧ . صَدَقْتِ! صَدَقْتِ!. وَأَيْنَ الشبَابُ؟ وَأَيْنَ الوَلْوعُ؟ وَأَيْنَ الأَمَلْ

٢٨٨ . صَدَقْتِ صَدَقْتِ!!.. نَعْمَ قَدْ صَدَقْتِ! وَسِر يَدَيْك كَأنْ لَمْ يَزَلْ

٢٨٩ . حَبَاكَ بِهِ فَاطِر النَيّراتِ، وَبَارِي النَّبَاتِ، وَمَرْسِي الجَبلْ

٢٩٠ . فَقُمْ! وَاسْتَهِلَّ [٢١٠]، وَسَبّحْ لَهُ! وَلبّ لِرَبٍ تَعالىَ وَجَلْ

---

(٢٠٩) المستوفز: هو القاعد إذا استقل على رجليه يتهيأ للقيام، ولما يستو قائما بعد.

(٢١٠) استهل: رفع صوته بالإهلال والتلبية لله سبحانه.

.... وَأستغْفِر الله، فإلا تكنْ رَضيتَ فقد أَمْلَلْتك، وَإذَا أنا قد أسأتُ من حيثُ أردْتُ الإحسان.. ولكنَّكَ بعثتَ كَوامِنَ نفسِي مُنْذ رأيتُك، فتوَسَّمْتُ وَجْهك، وعرفتُ فيه شيئًا أخطأتُه في وُجوه كثير من أهلِ زَماننا، فأحببتُ أن أعِظك وَأعظَ نفسي بِنْعمة الله عَلَى عباده، إذ جَعَل بعضَهم لبعضٍ قُدوةً وَعِبْرَةً، وَآتاهُم من مكنونِ عِلْمه مالا يغُفلُ عَنْه إلاّ هالكٌ، ولا يُضَّيعه إلاّ مُسْتَهينٌ لا يبالي. وقد بلّغنَا رسولُ الله عن ربهِّ بلاغًا يُضيء لكَل حَيٍّ نَهْجَ حياتِه، ويُمْسِكُ عليه هَدْي فِطْرته، إذ قال: «إنّ الله يُحِبُّ إذَا عَمِل أَحَدُكُم عملاً أن يُتْقِنَه» وقال: «إنّ الله كتَبَ الإحْسانَ على كُلِّ شيء، فإذَا قَتَلْتم فأحسِنُوا القِتلة، وإذا ذَبَحْتُم فأَحْسِنُوا الذِّبْحة، وَليُحدَّ أحدُكُمْ شَفْرتَه، ولْيُرِحْ ذَبِيحتَه» فَانْظُر إلى أين كتب الله عَلَينا أن نبلُغَ في إتقان ما نَصْنع، وإحسانِ ما نَعْمَل!

اللهُم إنَّا نسألُك الثباتَ في الأمر، والعزيمةَ على الرُّشْد، والإتقَان في العَمَل، وَالإحسانَ فيما نأتي وما نَذر. وَنسْأَلُكَ منْ خير ما تَعْلم، ونعوذُ بك من شَرّ ما تَعْلم. وَنسألُك قَلْبا سَلِيمَا، ولسانًا صادقًا، وعملاً صالحًا، وسَداداً في الخير. والسلامُ على مِنْ اتَّبَع الهُدَى.

من أخيك..

محمود محمد شاكر

القاهرة: ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٧١هـ

١٥ يناير سنة ١٩٥٢م

(لا ريب عندي أن الشعر الحديث قد ضل كثيرا حين لم يهتد إلى "القوس العذراء "، وأن الناقد الحديث قد سار في تلك الطريق المضللة نفسها حين أغفل تلك القصيدة) "

د: إحسان عباس .

(من المؤسف أن الشاعر سكت بعد قصيدته اليتيمة " القوس العذراء " ولو شفعها بأخوات لها لقطع الطريق أمام الكثيرين من شعراء هذا العصر)

جليل العطية .

(قصيدة " القوس العذراء " رؤية جديدة في الإبداع الفني ، تأخذ مكانها في الذروة من الأعمال الرائعة في أدبنا المعاصر، بل في الأدب الإنساني في كل زمان ومكان)

د . محمد مصطفى هدارة .

===

ماذا يمكن لنا أن نضيف على هذه الرؤى حول قصيدة بهذا الحجم و القدر في نظر كثير من نقاد العصر الحديث، وفي قصيدة تعاقب على دارستها أساتذة متخصصون، بل ويحضر فيها الآن رسالة لنيل درجة الماجستير.

نعم إنها القوس العذراء لشيخ العربية محمود شاكر قصيدة تربو أبياتها على ٣٠٠ بيت شعري.

وليس سر شهرتها وروعتها في عدد أبياتها ، أو في عاطفتها الجياشة ، أو شيء من الخصائص اللغوية التي تمتدح بها أشعار العرب وإن كانت لا تخلو من كل ذلك، ولكن سر روعتها في عبقريتها.

عبقرية هذه القصيدة يكمن في أنها جاءت صوتا وصدى لقصيدة لشاعر قديم هو الشماخ بن ضرار، يصف فيها قوسا قطعها وقومها وسواها وأحبها وظلت رفيقة دربه وعمره، ثم وافى موسم الحج فاضطر لبيعها فباعها.

وجاء الشاعر والعلامة العبقري محمود شاكر ليفجر القصيدة القديمة ويقرأها قراءة شعرية ويدير حولها قصة مطولة بأبيات من الشعر تصور هذه العلاقة الحميمية بين هذا الصياد وهذه القوس ، روحان امتزجتا رصد فيها نبضات المشاعر ونبض القلوب من يوم أن كانت القوس عودا في شجرة في غابة نائية ، إلى أن أضحت في أحضان الصياد غانية جميلة محبوبة، وتتزايد حدة الموقف وتنساب الدموع حين يسام خسفا وهم يسومونها منه في موسم الحج ليشتروها بثمن بخس، ويعيش الصياد فترة من الصراع المر والتردد والحيرة تصوره القصيدة تصويرا لا مثيل له ..وفي دهشة الموقف تنبس الشفتان ببيع القوس العذراء... ويستيقظ الصياد على أصداء من نغمات المشترين " بعْ .. لا تبع ..بع ...لا لا ..بع .." وقد فقد أعز من / ما يملك..

هذه الكلمات التي ندونها هنا لا تفي القصيدة حقها ، وهي عاجزة عن وصف روعتها، ولا نملك هنا في مجلة الساخر إلا أن نقدمها لرواد هذه المجلة تحية حب ووفاء لتواصلهم الكريم ..ورحم الله محمود شاكر شيخ العربية وإمام المحققين .

انتهى.

ومن الدراسات التى أقيمت حولها :

القوس العذراء وقراءة التراث (العالم الفاضل وريث المدرسة الشاكرية الدكتور محمد محمد أبوموسى –حفظه الله –) وهو كتاب رائع كسائر كتبه ، وأنا أنصح كل مسلم بقراءة مقدمات كتب هذا العلم –بارك الله في علمه وجهده– ، وكتبه من مطبوعات مكتبة وهبة بالقاهرة)

القوس العذراء (د.إحسان عباس–رحمه الله–)

القوس العذراء رؤية في الإبداع الفني (الدكتور محمد مصطفى هدّارة)